سطور OSTOUR

التسلم Received 30-08-2021
التعديل Revised 14-11-2021
القبول Accepted 26-04-2022

الرقم التعريفي: DOI: https://doi.org/10.31430/KQCG3826

حافظ عبدولي | Hafed Abdouli*

عائلة السّلمي المسلّاتي (القرنان 8-9هـ/ 14-15م)

من هوامش جبال طرابلس الغرب إلى وجاهة حواضر المشرق خلال العصر المملوكي

The "As - Salami al - Masallati" Family (8-9th A.H/ 14-15th A.D centuries)

From Tripoli Mountains Margins to the Prestige of the Mashreq Metropolises During the Mamluk Era

تتناول هذه الدراسة تاريخ عائلة السَّلَمي المَسَلّاتي في حواضر المشرق خلال العصر المملوكي، وتبرهن على أصولها المغاربية على خلاف ما كان شائعًا في الدراسات السابقة. وتتوقّف في مبحثها الأول عند الصمت الهيستوريوغرافي، وتحاول الكشف عن الخلل المنهجي الذي أدّى إلى سقوط العائلة من اهتمام الدراسات التي عالجت مسألة هجرة العلماء المغاربة إلى المشرق. وفي مبحثها الثاني، تعمل على تحديد الموطن الأصلي للعائلة، وتُثبت انحدارها من موقع قلعة/ حصن سَلَمَة الذي يوجد في جبل مَسَلّاتة في نواحي طرابلس الغرب. ثم في مبحثها الثالث، تسلّط الضوء على المكانة العلمية والاجتماعية التي حققها أفراد هذه العائلة في مدن المشرق في العصر المملوكي (القاهرة، القدس، وخاصة دمشق)، وتحاول في الأثناء تبيّن الاستراتيجيات والآليات التي اعتمدتها العائلة لبلوغ تلك المكانة الاجتماعية والمحافظة عليها داخل الفلك العائلي عبر الأجيال المتعاقبة.

كلمات مفتاحية: هجرة العلماء المغاربة، العصر المملوكي، عائلة المَسَلّاتي، طرابلس الغرب.

This article deals with the history of the as - Salami - al-Masallati family in the major cities of the Mashreq during the Mamluk era. The aim is to prove the Maghrebian origins of the family, contrary to what has been previously suggested. In the first part, the article looks at the methodological gap which led the absence of this family in the previous studies that dealt with the migration of Maghrebian scholars to the Mashreq. The second part, through the interweaving of various sources, paper aims to determine the original dwelling of the family and to prove that their descent is linked to the castle / fort of Salama site which is at Gabal Masallata in the eastern suburbs of Tripoli (western Libya). Finally, this article highlights the prestigious scientific and social status reached by the members of this family in the cities of the Mamluk Mashreq (Cairo-Jerusalem and especially Damascus) and trying to identify the strategies adopted by the family to achieve and preserve this social status within the family orbit through successive generations.

Keywords: Migration of Maghrebi Scholars, Mamluk Era, al-Masallati Family, Western Tripoli.

* أستاذ مساعد في التاريخ الوسيط والآثار الإسلامية، جامعة صفاقس، تونس.
Associate Professor of Medieval History and Islamic Archaeology, University of Sfax, Tunisia.
hafed_abdouli@yahoo.fr

مقدمة

تقف هذه الدراسة على الحياد في محور التناظر بين تاريخ النخب وتاريخ المجالات الهامشية، وهي كذلك مترددة في مركز التجاذب بين البروسبوغرافيا والبيوغرافيا العائلية أو التاريخ العائلي[1]، تتقاطع فيها كل هذه الأنماط وتأبى التصنيف المنهجي ضمن جنس بعينه. وعبر تشبيك هذه المناهج المختلفة وتنويع المصادر التقليدية (كتب التاريخ العام، ومصنّفات الجغرافيا والرحلة وكتب التراجم) ومقارعتها بنظيرتها الأثرية والطوبونيمية، تسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على المراحل الباهتة من تاريخ عائلة "السّلمي المسلّاتي"، وهي عائلة نشأت في مجال هامشي في جبال طرابلس الغرب، ثم هاجرت إلى المشرق، وتبوّأت أعلى المراتب العلمية والاجتماعية في كبرى الحواضر المملوكية في المشرق (الإسكندرية، القاهرة، دمشق، بيت المقدس)، إلّا أنها ظلّت مهمّشة ومغيّبة في كل البحوث السابقة التي اهتمت بدراسة العلماء المغاربة في المشرق خلال العصر المملوكي (القرنان 8-9هـ/ 14-15م)[2]. وهذا التهميش غير المقصود حتمًا من الدراسات السابقة لعائلة كانت على هذا القدر من الأهمية، يُعدّ، في واقع الأمر، المحفّز الأساسي والمبرر الرئيس لإقدامنا على التأريخ لها وفق منهج مغاير يعتمد أساسًا على تنويع المدوّنة المصدرية وتشبيك المناهج.

فكيف سقطت هذه العائلة من الدراسات السابقة؟ وكيف تحوّلت من عائلة أصيلة في مجال هامشي ببلاد المغرب إلى عائلة وجاهة اجتماعية في حواضر المشرق خلال العصر المملوكي؟

أولًا: إشكالية عدم حضور عائلة "السّلمي المسلّاتي" في الدراسات السابقة

ظهرت هذه العائلة على سطح الأحداث في حواضر المشرق خلال العصر المملوكي منذ منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على وجه التقريب. وهي عائلة علمية اختصّت أساسًا بوظيفتي التدريس والقضاء، علاوة على وظائف أخرى.

كشفت عملية الجرد الدقيق لمصنّفات التراجم التي اهتمت بأعيان وعلماء العصر المملوكي أن هذه العائلة امتدت أربعة أجيال، على فترة زمنية تناهز القرن، حيث احتفت هذه المصادر بتراجم أفرادها منذ منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي حتى الربع

---

1 حول المقاربات النظرية لهذه المناهج المستعملة في الكتابة التاريخية، ينظر مثلًا: رجاء عنقود، "البروسبوغرافيا: منهج لدراسة النخب والفئات الاجتماعية، محاولة تعريف"، **أسطور**، العدد 11 (كانون الثاني/ يناير 2020)، ص 81-100؛
Giovanni Levi, "Les usages de la biographie," *Annales: Economies, Sociétés, Civilisations*, vol. 44, no. 6 (1989), pp. 1325-1336.

يمكن مراجعة ترجمته إلى العربية: "استعمالات البيوغرافيا"، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، **أسطور**، العدد 3 (كانون الثاني/ يناير 2016)، ص 25-38؛
Julien Loiseau, "Histoire de la famille, histoires de famille," *Annales islamologiques*, vol. 47 (2013), pp. 3-13.

2 بخصوص الدراسات السابقة التي اهتمت بهجرة العلماء المغاربة إلى المشرق خلال العصر المملوكي ولم تتطرق إلى عائلة السّلمي المسلّاتي، ينظر على سبيل الذكر: علي أحمد، **الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري** (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1989)؛ إبراهيم زعرور، "القضاة الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام في عصر المماليك"، **دراسات تاريخية**، العددان 53-54 (تموز/ يوليو-كانون الأول/ ديسمبر 1995)، ص 61-79؛ أحمد بن معمر، "المغاربة ومنصب قاضي القضاة المالكي في دمشق المملوكية"، **مجلة التراث** (اتحاد الكتاب العرب بدمشق)، عدد خاص بمناسبة دمشق عاصمة الثقافة العربية (2008)، ص 145-162؛ الحاج عيفة، "إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري (12-15م)"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010؛ عمار مرضي علاوي، "أثر المغاربة في بلاد الشام: القضاء أنموذجًا"، **مجلة ديالي**، العدد 56 (2012)، ص 1-36؛ عبد الكريم شباب، "علماء المغرب الإسلامي في بلاد الشام خلال القرون 5-8هـ"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2014-2015؛ نجاة الجويني، "هجرة العلماء المغاربة إلى المجال المملوكي ودورها في تطور الحياة الفكرية من خلال كتب الوثائق المملوكية: صبح الأعشى مثالًا"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، مج 3، العدد 1 (حزيران/ يونيو 2019)، ص 208-228.

الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وتُنسب هذه العائلة إلى زين الدين عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك بن المنجّى بن علي بن جعفر السلمي المسلّاتي[3]. وعلى الرغم من أننا لم نتوصّل، من خلال المصادر، إلى ترجمة تخصّ هذا الشخص المسمى عبد الرحيم، فإن ترجمة ابنه تُسعفنا بمعرفة أنه قد عاش على الأرجح في أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن للهجرة[4]، وتفيدنا كذلك أنه قد خُصّ بأحد الألقاب المضافة إلى الدين وهو لقب "زين الدين" الذي يوحي بأنه كان من طبقة العلماء خلال العصر المملوكي، حيث يُخبرنا القلقشندي (ت. 821هـ/ 1418م) أن لقب زين الدين كان قبل عصره (يقصد خلال عصر المماليك البحرية) خاصًا بأسماء أبي بكر وعبد الرحمن وعبد الرحيم من المنتمين إلى طبقة القضاة والعلماء[5]. أما الجيل الثاني من هذه العائلة في مصنفات التراجم، فيُمثّله ابنا زين الدين عبد الرحيم، وهما: عبد العزيز بن عبد الرحيم، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم. وبخصوص عبد العزيز، فيبدو أنه لم يكن له شأن يذكر في الحياة العلمية، حيث لم تترجِم له المصادر، ولم يُمنَح له لقبٌ مُضاف كما هي الحال بالنسبة إلى باقي أفراد العائلة، وإنما ذُكر اسمه ضمن ترجمة ابنه أمين الدين محمد الذي ينتمي إلى الجيل الثالث[6]. أما الابن الثاني لعبد الرحيم، الملقّب بـ "جمال الدين"، فهو: "محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك بن المنجّى بن علي بن جعفر السّلمي المسلّاتي، جمال الدين بن زين الدين المالكي"، فيُعدّ المؤسس الفعلي لمجد العائلة ووجاهتها في كبرى حواضر المشرق خلال العصر المملوكي. وقد ولد "تخمينًا" في عام 699هـ/ 1300م على حد قول المقريزي[7]، وبحسب رواية تنسب إليه في عام 701هـ/ 1302م[8]. وقد ترجمت له جُلّ المصادر التي اعتنت بأعيان المئة الثامنة للهجرة، حيث اشتُهر بتدريس الحديث والإفتاء على المذهب المالكي، وبرع في الأدب شعرًا ونثرًا، وأتت شهرته أساسًا من تقلّده منصب قاضي القضاة المالكي في مدينة دمشق مدة طويلة، ناهزت عشرين عامًا، وتذكره المصادر ضمن وفيات عام 771هـ/ 1370م، تاركًا للعائلة إرثًا رمزيًا وثروة مادية طائلة[9].

---

3 أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، حققه وعلّق عليه محمود الجليليّ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002)، ج 3، ص 326

4 ينظر مثلًا: المرجع نفسه؛ أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)، ج 4، ص 338؛ ج 5، ص 210؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط 2 (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972)، ج 5، ص 258؛ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983)، ج 1، ص 99؛ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشهير بابن طولون، **قضاة دمشق: الثغر البسّام في ذكر من ولّي قضاء الشام**، تحقيق صلاح الدين المنجد (دمشق: المجمع العلمي العربي، 1956)، ص 248-249؛ أبو المحاسن يوسف الأتابكي بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي؛ دار الكتب المصرية، [د. ت.])، ج 11، ص 109-110.

5 أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** (القاهرة: المطبعة الأميرية، 1915)، ج 5، ص 489؛ حسن الباشا، **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** (القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1989)، ص 314.

6 ينظر مثلًا: أبو المعالي محمد بن رافع السلامي، **الوفيات**، تحقيق صالح مهدي عباس، إشراف ومراجعة بشار عوّاد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982)، ج 2، ص 273-274؛ ابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 17؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول (بيروت: دار الكتب العلمية، [د. ت.])، ج 4، ص 204-205.

7 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 188.

8 أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي، **غاية النهاية في طبقات القراء** (بيروت: دار الكتب العلمية، 2006)، ج 2، ص 151.

9 حول ترجمته، ينظر: المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 188 (ترجمة عدد 1090)، ص 326 (ترجمة عدد 1253)؛ ابن رافع، ج 2، ص 360؛ ابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 11-12؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، تحقيق بشار عوّاد معروف وعصام فارس الحرستاني وأحمد الخطيمي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995)، ص 177؛ ابن الجزري، ج 2، ص 151؛ أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الفاسي الحسني المكي، **ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، تحقيق محمد صالح بن عبد العزيز المراد (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1997)، ص 269-270؛ المقريزي، **السلوك**، ج 4، ص 338؛ ابن إياس الحنفي، ج 1، ص 99؛ أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن العراقي، **الذيل على العبر في خبر من غبر**، تحقيق صالح مهدي عباس (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989)، ص 300-301؛ أبو بكر أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، تحقيق عدنان درويش (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1994)، ج 3، ص 377؛ ابن تغري بردي، ج 11، ص 109-110.

في حين يمثل الجيل الثالث من هذه العائلة في كتب التراجم في الأساس ثلاثة أشخاص، اشتهر اثنان منهم خاصة في سلك القضاء؛ الأول يدعى أمين الدين أبو حيّان محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم، وهو ابن أخ قاضي القضاة المشهور جمال الدين محمد بن عبد الرحيم وزوج ابنته، وتفيد المصادر أنه نشأ على الشافعية واشتغل بالحديث، ثم تحوّل مالكيًّا لينوب صهره جمال الدين في الحكم بقضاء دمشق. وتذكره التراجم ضمن وفيات عام 764هـ/ 1363م، حيث توفّي في جديا من ضواحي دمشق، ودفن في مقبرة الباب الصغير. وعلى الرغم من وفاته في سن مبكرة نسبيًا، فإن المصادر تشيد بأهليته علميًا وحُسن سيرته مهنيًا وأخلاقيًا[10]. أما الشخصية الثانية المشهورة من هذا الجيل الثالث، فيمثلها سري الدين أبو الخطاب محمد بن محمد بن عبد الرحيم، وهو ابن قاضي القضاة المذكور جمال الدين محمد، المولود في شهر رمضان 751هـ/ 1350م في المدرسة الصمصامية في دمشق، مقر إقامة أبيه وعمله في ذلك الوقت[11]، وهو كذلك سبط قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن السبكي، الشافعي المشهور، وزوج ابنة القاضي ذائع الصيت برهان الدين إبراهيم بن جماعة. نشأ على الشافعية لدى أخواله من عائلة السبكي، ثم بعد مصاهرته ابن جماعة، نابه في القضاء في القاهرة، ثم استقل لاحقًا بمنصب قاضي القضاة الشافعي في دمشق، كما شغل مناصب أخرى مهمة سنعرضها لاحقًا في سياقها المنهجي، وتُرجم له ضمن وفيات عام 799هـ/ 1397م، حيث توفي في القاهرة ودُفن عند والده في مقبرة الصوفية[12]. أما الشخصية الثالثة من هذا الجيل الثالث فيمثّلها أخ القاضي الشافعي سري الدين، وابن القاضي المالكي جمال الدين محمد، وهو عمران بن محمد بن عبد الرحيم، وقد ذُكر عرَضًا في ترجمة ابنه شرف الدين محمد. وأخيرًا يمثل الجيل الرابع من العائلة في كتب التراجم شخصان: الأول هو شرف الدين محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك السّلمي المسلّاتي، وقد تفرّد بذكره عبد الباسط بن خليل الظاهري، ناسبًا إليه خطأً تقلّد القضاء في دمشق في عام 790هـ/ 1388م، حيث يخلط بينه وبين عمّه سري الدين الذي تولّى المنصب في ذلك التاريخ. والشخصية الثانية من هذا الجيل الرابع الذي يبدو معها قد أفل مجد العائلة، فيمثّلها جمال الدين الحفيد، وهو ابن سريّ الدين محمّد بن جمال الدّين. وتذكر المصادر أنه أتلف كل ما ورثه من أبيه من مناصب وثروة مادية، إلى درجة أنه لم يجد ثمن كفنه يوم وفاته في 18 صفر 814هـ/ 11 حزيران/ يونيو 1411م[13].

يُعرّف عادة أفراد هذه العائلة في كتب التراجم بنسبة "السّلمي المَسَلّاتي"، وفي المقابل لم يتوقف محققو هذه المصنفات ولو في مناسبة وحيدة لتوضيح هذه النسبة وتحديدها. بل نجدهم أحيانًا يؤكدون ضبط كلمة "السّلمي" على النحو التالي "السُّلَمِيُّ" (برفع السين المشدّدة وفتح اللام وكسر الميم)[14]. أما في خصوص لفظة المسلّاتي"، فقد ضبطت في مخطوطات المصادر بصيغ مختلفة، مثل "السلّاتي" أو "المسلّاقي" أو "السلّالي"، كما عمد أحيانًا بعض المحققين إلى اختيار الصيغة الخطأ من بين نسخ

10 ابن رافع، ج 2، ص 273-274؛ ابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 17؛ الذهبي، ج 4، ص 204-205؛ ابن العراقي، ج 1، ص 137-138.

11 المدرسة الصمصامية: من مدارس المالكية في مدينة دمشق، تقع في محلة حجر الذهب، شرق دار القرآن الكريم الوجيهية وقبلي المسرورية الشافعية، ينظر: عبد القادر بن محمد النُّعيمي الدمشقي، **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق جعفر الحسني (دمشق: مطبعة الترقي، 1951)، ج 2، ص 8. ويقول في شأنها أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** (بيروت: دار صادر، 1964)، ص 94: "وبها يسكن قاضي قضاة المالكية وقعوده للأحكام"؛ وينظر بشأنها أيضًا: حسن حلمي أبو الفضل العسيري، "مدارس دمشق ودورها الثقافي من خلال وصف ابن بطوطة"، **مجلة المؤرخ العربي**، مج 2، العدد 28 (2020)، ص 184.

12 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 72-73؛ المقريزي، **السلوك**، ج 4، ص 391؛ ج 5، ص 210؛ ابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 12؛ أبو العباس أحمد بن حجي السعدي الحسباني الدمشقي، **تاريخ ابن حجي: حوادث ووفيات 796-815هـ**، ضبط النص وعلّق عليه أبو يحيى عبد الله الكندري (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2003)، ج 1، ص 228، 230.

13 ابن حجي، ج 2، ص 977.

14 ينظر مثلًا: المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 188، 326؛ ابن طولون، ص 249.

المخطوطة المختلفة[15]. ويمكن تفسير انعدام أيّ محاولة لتوضيح هذه النسبة في هوامش كتب التراجم واختلاف ضبط ألفاظها أو تشكيلها أحيانًا بطريقة خاطئة بعدم إلمام المحققين بطوبونيميا بلاد المغرب، خاصة منها المجالات الريفية والجبلية في نواحي طرابلس الغرب.

تزيد الدراسات التي اهتمت بمسألة هجرة العلماء المغاربة إلى المشرق خلال العصر المملوكي في تعميق هذه الإشكاليات التي تطرحها أولًا عمليات نسخ مخطوطات المصادر وتحقيقها. ويبدو أن هذه الدراسات قد استكانت بطمأنينة مُبالَغ فيها أحيانًا للمعطيات التي توفّرها عمليات التحقيق، حيث اعتمد المحققون التشكيل المذكور للفظة "السُّلَمِي"، ما جعلهم يعتقدون – خطأً - أن نسبة هذه العائلة تعود إلى النسبة القبلية المشتقة من "قبائل بني سُلَيْم" ذائعة الصيت وواسعة الانتشار في المشرق[16]. وجعلت هذه الطمأنينة الزائدة على الحد، من دون التسلّح بالحد الأدنى من الحس النقدي المطلوب لدى المؤرخ، من عائلة مغاربية على هذا القدر من الأهمية، تسقط من دراساتهم المخصصة للعلماء المغاربة في المجال المملوكي. بل إن بعض الدراسات تذكر قاضي القضاة المالكي جمال الدين محمد بن عبد الرحيم، المؤسس الفعلي لمجد هذه العائلة، من بين الاستثناءات المشرقية التي تقلّدت منصب قاضي قضاة المالكية في مدينة دمشق: "هذا ولم يكن منصب قاضي القضاة المالكي حكرًا على المغاربة وحدهم، بل كان يتقلّده غيرهم من أهل مصر والعراق والشام، فبعد موت جمال الدين الزواوي، تعاقب على هذا المنصب وعلى مدار نصف قرن مجموعة من القضاة غير المغاربة، وهم فخر الدين أحمد بن أبي الخير سلامة الإسكندري، فالقاضي شرف الدين أبو عبد الله محمد الهمذاني، ثم القاضي جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلاتي، أطولهم مدة حيث دامت ولايته زهاء عشرين سنة (748-767هـ/ 1348-1366م)، عُزل في أواخر سنة 759هـ/ 1358م بشرف الدين أحمد بن الحسين العراقي، ثم أُعيد إلى القضاء في أوائل السنة الموالية"[17]. وقد لفتنا، بكل تجرد، هيمنة التناص بين هذه الدراسات التي ينقل بعضها عن بعض منهجًا ومضمونًا، فلو توقفت قليلًا، بحسب اعتقادنا، بالبحث في النسبة الثانية الملحقة بأفراد هذه العائلة "المسلّاتي"، واعتمدت في الأثناء على مقارعة المصادر المشرقية بنظيرتها المغربية، لتمكّنت من تجاوز هذا الإشكال. وإضافة إلى ذلك، لاحظنا أن عملية الجرد لمتون مدوّنة التراجم بدورها لم تُنجزها هذه الدراسات بالدقة المطلوبة، لأن المقريزي (ت. 845هـ/ 1442م) يقدم معطًى كفيلًا بحل الإشكال الذي تطرحه نسبة العائلة، حيث يتفرّد عن باقي المصادر خلال ترجمته لجمال الدين محمد بن عبد الرحيم، بذكر معلومة عن موطنه الأصلي، تبدو كافية للاستدلال وبصفة قطعية على الجذور المغاربية لهذه العائلة: "محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك بن المنجّى بن علي بن جعفر السلميّ، أبو عبد الله جمال الدين المسلّاتي المالكي قاضي دمشق. ولد بقلعة سلما من أطرابلس المغرب في سنة تسع وتسعين وست مائة تخمينًا، وقدِم إلى القاهرة، فسمع بالإسكندرية من عبد الرحمن بن مخلوف، ومن عز القضاة عبد الواحد بن المنيّر، وبدمشق من أحمد بن الشحنة"[18].

وفي المبحث الثاني نحاول تحديد موقع "قلعة سلما من أطرابلس المغرب"، الموطن الأصلي لعائلة "السلمي المسلّاتي"، وذلك عبر تشبيك هذا المعطى الذي توفّره كتب التراجم بأصناف أخرى من المصادر، ونحاول أيضًا الوقوف على الظروف المحيطة بهجرتهم إلى الحواضر المملوكية في المشرق في بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

---

15 ابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 17 (هامش 2)؛ ابن تغري بردي، ج 11، ص 109-110؛ عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الحنفي، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري (بيروت/ صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2002)، ج 2، ص 262 (هامش 2).

16 حول قبائل بني سُلَيْم، ينظر مثلًا: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق لجنة من الناشرين (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)، ص 261-264؛

Michael Leker, "Sulaym," *Encyclopédie de l'Islam*, tome IX, 2ème éd. (Leiden: Brill, 1998), pp. 852-853; Radhi Daghfous, "De l'origine des Banu Hilal et des Banu Sulaym," *Cahiers de Tunisie*, vol. 26, no. 91-92 (1975), pp. 41-68.

17 بن معمر، ص 151-152.

18 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 188.

شكل يوضح تفرّع شجرة نسب عائلة السَّلَمِي المسلّاتي من خلال المصادر

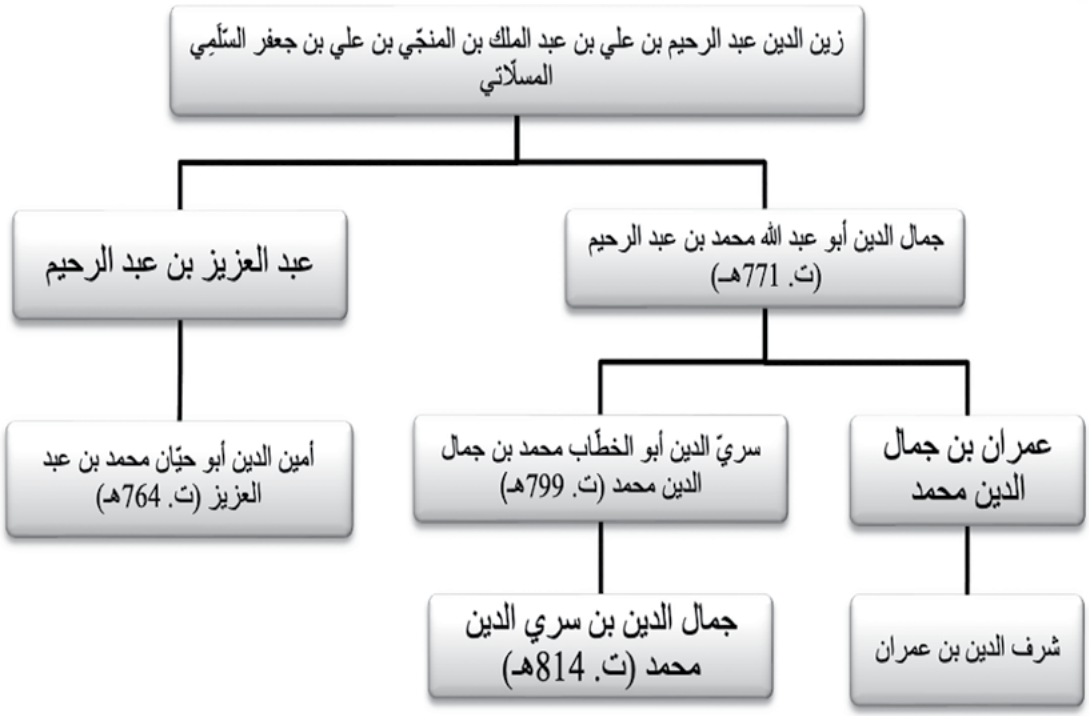

المصدر: من إعداد الباحث.

ثانيًا: تحديد الموطن الأصلي لعائلة السّلمي المسلّاتي وظروف هجرتها إلى المشرق

1. الموطن الأصلي لعائلة السّلمي المسلّاتي قبل هجرتها إلى المشرق

يُذكر أفراد هذه العائلة في كتب التراجم أحيانًا بنسبة مفردة "المسلّاتي" أو "المعروف بالمسلّاتي"[19] أو "ابن المسلّاتي" بالنسبة إلى أبناء الجيل الثالث[20]. وتستعمل أحيانًا أخرى نسبة مركّبة من لفظين متلازمين "السّلمي المسلّاتي"، وتخص عادة تراجم جمال الدين محمد بن عبد الرحيم[21]، حيث تُحيل النسبة الأولى "السَّلَمِي" إلى مسقط رأسه وموطنه الأصلي "قلعة سَلَمَا". ويتفرّد بذكر هذا الموقع الرحالة التجاني من بين المصادر المغاربية التي تعود إلى العصر الوسيط، بتصحيف بسيط عن الرسم الذي أورده المقريزي "حصن سَلَمَة"، حيث

19 ينظر مثلًا: ابن رافع، ج 2، ص 360؛ السخاوي، ج 1، ص 177؛ الفاسي، ج 1، ص 270؛ المقريزي، **السلوك**، ج 4، ص 338؛ ابن إياس الحنفي، ج 1، ص 99؛ ابن العراقي، ص 300.

20 ابن شاهين الظاهري، ج 2، ص 380؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تحقيق حسن حبشي (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1969)، ج 1، ص 106، 351؛ ابن تغري بردي، ج 12، ص 160؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 5، ص 265؛ ابن العراقي، ج 1، ص 137.

21 يراجع مثلًا: المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 188، 326؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11-12؛ ابن الجزري، ج 2، ص 151؛ ابن قاضي شهبة، ج 3، ص 377.

زاره طلبًا للراحة من مرض ألمّ به، فأجبره على التخلّف عن قافلة الحج والعدول عن مواصلة الطريق. فكان مسلك الرجوع مختلفًا عن مسار الذهاب؛ إذ غادر الطريق الساحلية، معرّجًا نحو الجنوب، ليبلغ "حصن سَلَمَة" في جبال مسلاتة، حيث استقر مدة ستة أيام، حتى تعافى من مرضه (بين 11 و16 من شهر محرم سنة 709هـ/ 1308م). ومن خلال تلك الإقامة، ترك لنا التجاني الوصف الوحيد الذي بلغنا عن الموقع خلال الفترة الوسيطة، وسنعمل على عرضه كاملًا للوقوف على مدى دقته بعد مقارعته بالواقع الميداني: "وانتقلنا من البئر المذكورة (بئر ينوت) يوم السبت إلى الحصن المعروف بحصن سلمة وهو من أرض مسلّاتة، فرأيت ملجأً، يذكر سلمى وأجأ، وهو على رأس جبل، وقد دارت به دور كثيرة، وتحفّ بهذا الجبل مغارس زيتون وكرم ومزارع وهي كلها في ثنايا وأودية بين جبال وعرة، وتحت هذه القرية في قاعة مستوية قرية صغيرة تُعرف بتاغرِمت – بكسر الغين المعجمة وكسر الراء - وبها مبانٍ ضخمة بالنسبة إلى تلك القرى، وشرب جميعهم من أجباب مملوكة لهم تملأها السيول المنحدرة من تلك الجبال في أوقات الأمطار، وما وراء هذه الجبال من قبليها يسمّى بالظاهر، وما بين يديها من جهة البحر يسمّى بالباطن. فأقمنا بظاهر هذا الحصن ستة أيام آخرها يوم الخميس السادس عشر، إلى أن وجدت خفة من المرض، وارتحلنا غدوة يوم الجمعة السابع عشر، مغرّبين، آخذين ذات اليمين ممّا يلي باطن الجبل"[22].

الخريطة (1)

مسار طريق التجاني شرق مدينة طرابلس وتعريجه على حصن سَلَمَة في جبل مسلّاتة

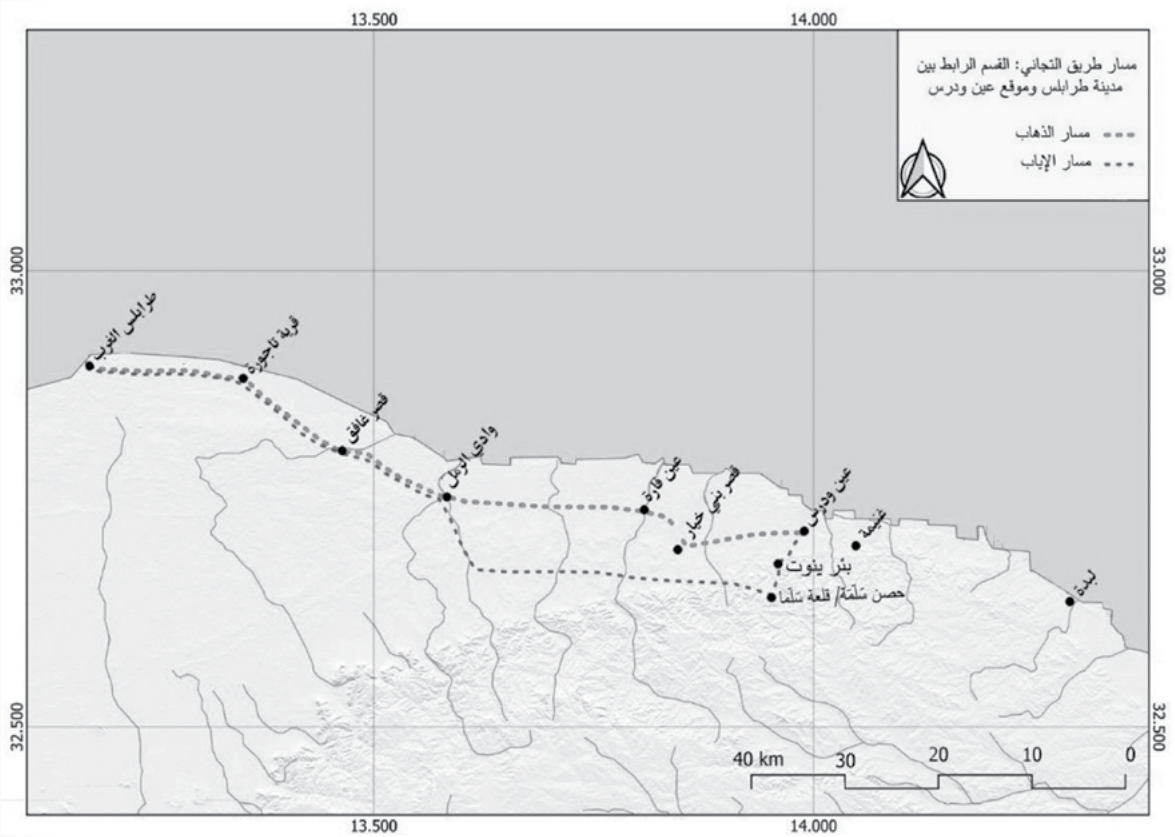

المصدر: من إعداد الباحث.

22 أبو محمد عبد الله بن محمد التجاني، **رحلة التجاني**، تقديم حسن حسني عبد الوهاب (تونس: الدار العربية للكتاب، 1981)، ص 318.

وظل الاعتقاد طويلًا أن الموقع مندرس، وما عاد له أثر في الميدان، وتضاربت الفرضيات بشأن تحديد موضعه بدقة، إلى أن تمكّنا خلال الأعوام الأخيرة من تحديده، وأفردناه بدراسة أثرية ستصدر قريبًا[23]. وقد مكّنتنا الزيارات الميدانية من الوقوف على دقة وصف التجاني وأمانته، المطابق للشواهد الأثرية والمعطيات الطوبونيمية التي ما زال يختزنها المجال والذاكرة الجمعية للسكان. فالموقع ما زال يعرف بين الأهالي بحصن أو قصبة سَلَمَة، ويُنطق محليًا تقريبًا كما ورد في رسم المقريزي "سَلَمَا" (بفتح السين واللام والميم). وهو عبارة عن حصن (قصبة/ قلعة)[24] مركزي تحيط به آثار وحدات سكنية ومنشآت تخزين وتموين مختلفة. وينتصب الموقع على قمة صخرية من جبال مسلّاتة، ويرتفع تقريبًا 300 متر فوق مستوى سطح البحر. ويوجد تحديدًا على مسافة تناهز 90 كلم إلى الشرق من مدينة طرابلس، ويبعد نحو 14 كلم إلى الغرب من مدينة مسلّاتة الحالية. وكل هذه الشواهد الأثرية التي يحتضنها المجال وتوحي بالطبيعة التحصينية للموقع (تحصينات طبيعية ومعمارية) إلى جانب المعطيات الطوبونيمية التي يحفظها الأهالي، لا تترك مجالًا للشك في أننا إزاء مسقط رأس جمال الدين محمد بن عبد الرحيم قلعة سَلَمَا/ حصن سَلَمَة الذي تُرجع إليه العائلة بنسبة "السَّلَمِيُّ" (بفتح السين)، وليس كما ورد في كتب التراجم "السُّلَمِيُّ" (بضم السين). وتتنزل هذه النسبة المشتقة من الموطن الأصلي، وليس من الانتماء القبلي كما كان معتقدًا، في إطار القاعدة المعروفة "ينسب إلى بلده من عاش خارجها".

الصورة (1)
مشهد عام لموقع حصن سَلَمَة، الموطن الأصلي لعائلة السَّلَمِي المسلّاتي

المصدر: من تصوير الباحث.

23 Hafed Abdouli, "Le peuplement et l'organisation territoriale à Ğabal Msallâta (Libye) au bas Moyen Âge: L'exemple du Hisn Salama," *Archeologia Medievale*, vol. 48 (2021).

24 حول مفهوم الحصن ومسألة تفضيل المشارقة استعمال مصطلح "القلعة" عوضًا عن "القصبة" التي تعدّ أساسًا مصطلحًا مغربيًا، ينظر مثلًا: أحمد الباهي، **سوسة والساحل في العهد الوسيط: محاولة في الجغرافيا التاريخية** (تونس: مركز النشر الجامعي، 2004)، ص 662، 668؛
Asa Eger, "Hisn, Ribat, Thaghr or Qasr? Semantics and systems of frontier fortifications in the Early Islamic Period," in: Paul M. Cobb (ed.), *The Lineaments of Islam: Studies in Honor of Fred McGraw Donner* (Leiden: Brill, 2012), pp. 427-455.

الصورة (2)
واجهة الحصن الذي يمثّل النواة الرئيسة لموقع سَلَمَة الأثري

المصدر: المرجع نفسه.

أما عن النسبة الثانية "المَسَلّاتي" التي عادة ما تقترن بالأولى "السَّلَمِي"، وهي في واقع الأمر الأكثر شيوعًا عند استعمال النسبة المفردة (المَسَلّاتي/ ابن المَسَلّاتي)، فتُحيلنا إلى المجال الأرحب الذي تنتمي إليه قلعة سَلَمَا/ حصن سَلَمَة. ويتمثل هذا المجال في جبل مَسَلّاتة الذي يمثل الجزء الشرقي من سلسلة الجبال المحيطة بمدينة طرابلس، حيث يقول ابن خلدون: "ويتصل به (جبل نفوسة) من جانب الشرق جبل مسلّاتة ويعتمره قبائل هوارة إلى بلد مسراتة وبرقة وهو آخر جبال طرابلس"[25]. وقد اشتقت تسمية الجبل من قبيلة مسلّاتة البربرية، أحد فروع قبائل هوارة التي استوطنت هذه النواحي إلى الشرق من مدينة طرابلس منذ زمن الفتح العربي الإسلامي[26].

وبعد إثبات الأصل المغاربي لعائلة "السَّلَمِيُّ المَسَلّاتي" على خلاف ما كان شائعًا، وتفسير النسبتين الملحقتين بالعائلة، حيث تبيّن أن الأولى تتعلق بالفضاء الضيق للمنشأ الأصلي للعائلة، والثانية مشتقة من المجال الأرحب الذي تنحدر منه، يبدو أن التمشّي المنهجي في هذه المرحلة يستوجب التوقف عند الظروف المحيطة بهجرة العائلة إلى المشرق.

---

25 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، ط 2 (بيروت: دار الفكر، 1988)، ج 6، ص 188.

26 بشأن قبائل هوارة ومجالات استيطانها، ينظر مثلًا: الأمجد الدريدي، "التحرّك المجالي لقبيلة هوّارة من القرن الأول إلى القرن الخامس للهجرة (القرن السابع إلى القرن الحادي عشر ميلادي)"، في: **الجبل والسهل في حوض المتوسط: أعمال الندوة العلمية الدولية الرابعة لقسم علم الآثار بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان (5-7 ديسمبر 2011)**، نصوص جمعها وأعدّها للنشر جعفر بن نصر والنوري بوخشيم (القيروان: جامعة القيروان، 2015)، ص 103-150؛
Aleya Bouzid, "Recherches sur les Hawwara," *Mawarid* (Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Sousse), no. 9 (2006), pp. 193-254.

الخريطة (2)
موقع حصن سَلَمَة/ قلعة سَلَمَا بجبل مسلّاتة

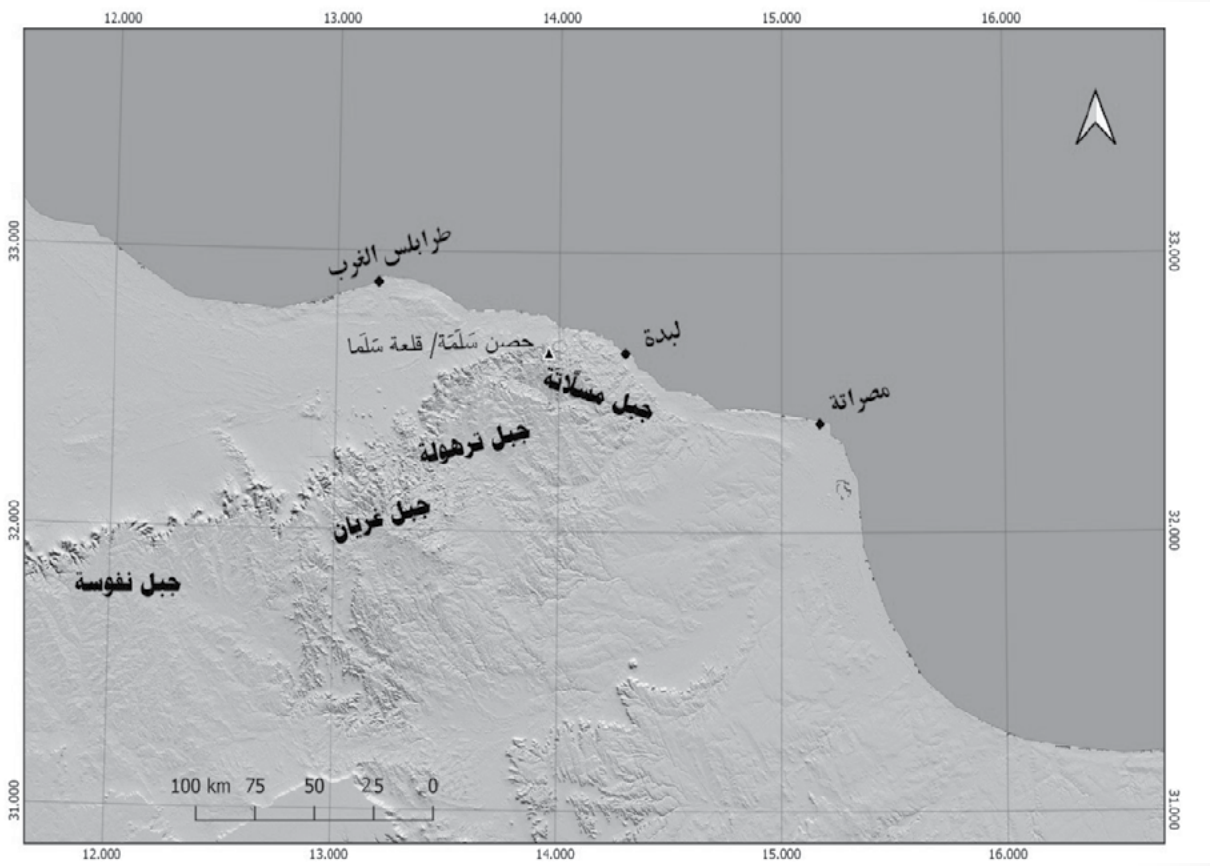

المصدر: المرجع نفسه.

2. ظروف هجرة عائلة السَّلَمِي المسلّاتي إلى المشرق

استنادًا إلى سنة ميلاد جمال الدين محمد بن عبد الرحيم في قلعة سَلَما/ حصن سَلَمَة، في نواحي جبال مسلّاتة من أطرابلس الغرب، التي توافق 701هـ/ 1302م، وتواريخ وفاة أهم شيوخه في مدينتي الإسكندرية والقاهرة خلال الربع الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[27]، واعتبارًا من جهة ثانية أن والده عبد الرحيم قد حمل الألقاب العلمية في المشرق مثل لقب الشيخ[28] وزين الدين[29]، نُرجّح أن هذا الأخير قد هاجر بعائلته إلى الإسكندرية في بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي خلال الفترة نفسها التي زار فيها الرحالة التجاني موطنهم "حصن سَلَمَة". وبعد مرحلة التعلّم والتحصيل في مدن مصر، مثل الإسكندرية والقاهرة، برز مجد العائلة في مدن الشام، خاصة مدينة دمشق، منذ منتصف القرن الثامن الهجري، مع جمال الدين محمد بن عبد الرحيم، المؤسس الفعلي لهذا المجد.

27 مثل: عبد الرحمن بن مخلوف (ت. 722هـ/ 1322م)، وتقي الدين بن الصائغ (ت. 725هـ/ 1324م).

28 ينظر مثلًا: ابن تغري بردي، ج 11، ص 109.

29 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 326؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11؛ ابن إياس الحنفي، ج 1، ص 99؛ ابن طولون، ص 248.

لقد أسهبت الدراسات في عرض الظروف التي ساهمت في هجرة العلماء المغاربة إلى المشرق منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وفصّلت عوامل الطرد الناجمة عن حالات الفوضى الأمنية وعدم الاستقرار السياسي التي كانت تعيشها بلاد المغرب. وفي المقابل، توافرت عوامل جذب عدة في المشرق، شجّعت العلماء المغاربة على الهجرة إلى مدن مصر والشام منذ العصر الأيوبي، وتواصلت على الوتيرة نفسها خلال العهد المملوكي[30].

من جهتنا، سنعمل على رصد الظروف المحيطة بهجرة عائلة السَّلَمي المسلّاتي إلى المشرق، محاولين التركيز على حيثيات الحياة السياسية والعلمية في نواحي طرابلس الغرب خلال الفترة المباشرة لتاريخ هجرتهم، وتحديدًا بين أواخر القرن السابع ومنتصف القرن الثامن للهجرة.

لقد كانت مدينة طرابلس طوال الفترة المذكورة مسرحًا للثورات الدامية وتستقطب الذين يطالبون بالسلطة وزعماء الانفصال عن السلطنة الحفصية التي كانت في حالة من الوهن والصراعات السياسية العميقة، حيث تواترت الانتفاضات والمحاولات الانفصالية في نواحي طرابلس في أواخر القرن السابع الهجري، ونذكر منها ثورة الدّعيّ ابن أبي عمارة ومرغم بن صابر بين عامي 681 و683هـ/ 1282 و1284م[31] اللذين عملا، في محاولة لإنجاح ثورتهما، على الاتصال بسلطان مصر المملوكي، المنصور قلاوون، طلبًا للدعم والمساندة[32]. ثم تلتها بعد أعوام قليلة انتفاضة أبي دبوس في عام 688هـ/ 1289م ضد الدولة الحفصية، انطلاقًا من أراضي طرابلس، وكان قد تحالف مع "ألفونسو الثالث" صاحب مملكة أرغونة[33]. وفي عام 709هـ/ 1309م، انطلقت كذلك من طرابلس الدعوة إلى إنقاذ السلطة الحفصية من الفوضى السياسية التي كانت تعيشها، وتزعّم هذه الدعوة الأمير الحفصي أبو يحيى زكرياء بن أحمد اللحياني الذي كان في ذلك الوقت في طرابلس، حيث اجتمعت عليه وبايعته القبائل العربية، وعلى رأسها قبيلة الكعوب بزعامة أولاد أبي الليل[34]. وقد انتهت هذه الموجة من الثورات والقلاقل المتواترة إلى استقلال منطقة طرابلس عن الدولة الحفصية، حيث ضجر السكان من هذه الوضعية، فساعدوا أسرة بني ثابت من الأرستقراطية التجارية لقبيلة الجواري الوشاحيين للاستقلال بحكم طرابلس بين عامي 724 و803هـ/ 1323 و1400م[35]. لكن حتى خلال فترة الحكم الذاتي لأسرة بني ثابت، لم تسلم مدينة طرابلس من التدخل الخارجي، حيث كانت هدفًا للهجوم المريني في عام 748هـ/ 1347م[36]، واستبيحت فترةً تناهز خمسة شهور من الجنويين في عام 755هـ/ 1354م[37].

---

30 ينظر مثلًا: عيفة، ص 26-66؛ أحمد، **الأندلسيون والمغاربة**، ص 83-116؛ الجويني، ص 211-213؛ عبد الواحد ذنون طه، **الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق** (بيروت: دار المدار الإسلامي، 2005)، ص 42-49؛ هشام صمايري، "عائلة القسطلاني من خلال كتب التراجم والطبقات: محاولة في الإحاطة بصنف من النخب العلمية المهاجرة إلى المشرق ومكانتها في المجتمع"، **العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، مج 1، العدد 2 (أيلول/ سبتمبر 2018)، ص 97-133؛ Louis Pouzet, "Maghrébins à Damas au VII/ XIII siècle," *Bulletin des Etudes Orientales*, vol. 28 (1975), pp. 167-199.

31 روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، ترجمة حمّادي الساحلي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988)، ج 1، ص 116-119؛ صالح الصادق السباني، **ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية (ق 6-10هـ/ 12-16م)** (طرابلس، ليبيا: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006)، ص 292-300.

32 محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق مراد كامل (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، 1961)، ص 41: "لما عاد مولانا السلطان (المنصور قلاوون) من غزوات التتار المباركة وجد رُسُلًا في أبوابه قد حضروا من جهة الأمير مرغم بن صابر أمير طرابلس الغرب وبلادها وإليه تجتمع ألوف الألوف من عربانها، قد أحضروا إلى أبواب مولانا السلطان معهم هدايا من خيل سوابق، ومعهم كتاب من الأمير مرغم يعرض على مولانا السلطان فتوح بلاد المغرب ويسأل إنفاذ سنجق شريف يفتح له البلاد".

33 برنشفيك، ص 129-131؛ السباني، ص 300-302.

34 برنشفيك، ص 159-161؛ السباني، ص 305-308.

35 السباني، ص 308-310.

36 المرجع نفسه، ص 311-313.

37 برنشفيك، ص 203-205.

وإضافة إلى حالة الفوضى وعدم الاستقرار السياسي، كانت نواحي طرابلس تعاني خلال تلك الفترة وجودها بين فكّي القرصنة في البحر وانخرام الأمن الذي تُحدثه القبائل العربية في البر. وقد وصف الرحالة العبدري هذه الحالة بقوله: "اكتنفها البحر والقفر، واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر النفاق والكفر، وتفرّقت عنها الفضائل تفرّق الحجيج يوم النفر"[38]. ويؤكد هذا الانفلات الأمني، الذي تُحدثه القبائل بطريق الحج المعروف بالجادة الكبرى، الرحالةُ ابن بطوطة من خلال تجربة شخصية له في بداية القرن الثامن الهجري، وهي الفترة نفسها التي هاجرت خلالها عائلة السّلمي المسلّاتي إلى المشرق، بقوله: "ثم خرجت من طرابلس، أواخر شهر المحرّم، من عام ستة وعشرين وسبعمائة ومعي أهلي وفي صحبتي جماعة من المصامدة، وقد رفعت العَلَمَ وتقدمت عليهم. وأقام الركب في طرابلس خوفًا من البرد والمطر وتجاوزنا مسلّاتة ومسراتة وقصور سرت، وهناك أرادت طوائف العرب الإيقاع بنا ثم صرفتهم القدرة، وحالت دون ما راموه من أذيتنا"[39]. أما حوادث القرصنة المسيحية والقرصنة المضادة التي كانت سواحل طرابلس مسرحًا لها خلال هذه الفترة، فهي عديدة، تحفظها المصادر وتؤكدها الدراسات التي اعتنت بهذه المسألة[40]. ويكفي الإشارة إلى أن كتب التراجم المشرقية ذكرت حسن بن مسلم السلمي ضمن وفيات عام 764هـ/ 1363م، وهو أحد الزهّاد المنحدرين من المنطقة، وكان ينفق على نفسه وعلى رفاقه من الفقراء في مصر من عائدات جهاد الفرنج في سواحل طرابلس: "وتوفي الفقير المعتقد حسن بن مسلم السلمي، المقيم بجامع الفيلة. وكان يجاهد الفرنج من جهة طرابلس المغرب، ويقيم حاله وحال من معه من الفقراء المسلمين مما يكون من الغنائم"[41].

يبدو أن هذه الوضعية السياسية المضطربة والأمنية المتردية التي كانت تعيشها نواحي طرابلس خلال أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن للهجرة، قد أثّرت في الحياة العلمية والثقافية في مدينة طرابلس، حيث ما عادت تستقطب العلماء، وانعدمت فيها تقريبًا الحركة الفكرية. وتعكس شهادة ابن رشيد السبتي الذي زار طرابلس في طريق عودته من الإسكندرية في عام 685هـ/ 1286م هذه الحالة من الركود التي عرفتها الحياة العلمية في المدينة، حيث يقول: "ولم يتمكّن لنا سماع من الشيخ أبي محمد[42] لاستعجال الحال ولا استجزناه، ولم نلق بها أحدًا من أهل العلم ولا كان بها، إلّا ما ذكر لنا من شخص له مشاركة في العربية لم يُتمكن لقاؤه"[43]. ويؤكد حالة الركود تلك أيضًا الرحالة العبدري بأسلوبه الساخط المعهود خلال زيارته المدينة بعد ثلاثة أعوام من مرور ابن رشيد: "ثم وصلنا إلى مدينة طرابلس، وهي للجهل مأتم وما للعلم بها غرس: أقفرت ظاهرًا وباطنًا، وذمّها الخبير بها سائرًا وقاطنًا"[44].

مثّلت هذه الوضعية المتردية سياسيًا وأمنيًا - التي انعكست بظلالها على الحياة العلمية والفكرية في نواحي طرابلس - حزمةً من العوامل المنفّرة التي دفعت بطالبي العلم إلى الهجرة. وتناظر هذه الوضعية، في الجهة المقابلة، حركية علمية نشطة في مختلف حواضر مصر وبلاد الشام، وهي نتيجة لسياسة الاحتفاء بالعلماء والاعتناء بمؤسسات العلم التي سنّها الناصر صلاح الدين منذ العهد الأيوبي، وتواصلت على الوتيرة نفسها خلال العصر المملوكي، وهو ما يعكسه قول ابن خلدون: "أهل هذه الدولة التركية بمصر والشام

38 أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، **رحلة العبدري**، تحقيق علي إبراهيم الكردي، ط 2 (دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2005)، ص 184.

39 ابن بطوطة، ص 19.

40 ينظر مثلًا:

Henri Bresc, "La Sicile et l'espace libyen au Moyen Âge," *Africa: Rivista trimestrale di Studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente*, vol. 63, no. 2 (2008), pp. 187-208.

41 المقريزي، **السلوك**، ج 4، ص 270؛ ابن تغري بردي، ج 11، ص 22.

42 قاضي وفقيه طرابلس (أواخر القرن 7هـ/ 13م): أبو محمد عبد الوهاب بن أبي الحسن بن عبد السيد، ينظر بشأنه: ناصر الدين محمد الشريف، **الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية** (عمان: دار البيارق للطباعة والنشر والتوزيع، 1999)، ص 111.

43 أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي، "ملء العيبة لما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة"، مخطوطة الإسكوريال رقم 1736، ص 3، نقلًا عن: محمد يوسف نجم وإحسان عباس، **ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات** (بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968)، ص 116-117.

44 العبدري، ص 184.

معنيّون - على القدم منذ عهد مواليهم ملوك بني أيوب - بإنشاء المدارس لتدريس العلم، والخوانق لإقامة رسوم الفقراء في التخلّق بآداب الصوفية [...] واقتدى في ذلك من تحت أيديهم من أهل الرياسة والثروة، فكثرت لذلك المدارس والخوانق بمدينة القاهرة"[45]. هذه السياسة المشجعة على طلب العلم والمبجّلة لأصحابه هي سنّة جُبلت عليها حواضر المشرق، حيث يقول ابن جبير معدّدًا مناقب الإسكندرية وفضائل سلطانها صلاح الدين الأيوبي: "ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه: المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبّد، يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنًا يأوي إليه ومدرّسًا يعلّمه الفن الذي يريد تعلّمه وإجراء يقوم به في جميع أحواله"[46]. ثم يردف انبهاره بوفرة المؤسسات التي تيسّر ظروف طلب العلم للغرباء في دمشق بنصيحة يوجّهها إلى شباب بلاد المغرب: "فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد (البلاد المشرقية) ويتغرّب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأوّلها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمّها"[47].

هذا التوجه السياسي المشجّع على طلب العلم والاحتفاء بطالبيه من الغرباء - خاصة منهم المغاربة - والذي تواصل على النسق نفسه بين العهدين الأيوبي والمملوكي، دعّمته طبيعة المجتمعات المشرقية المنفتحة على الآخر ومجهوداتهم المبذولة لتهيئة الظروف لطالبي العلم من بلاد المغرب. وكانت هذه الميزة التي طبعت مجتمعات حواضر المشرق خلال ذلك العصر من العوامل المفصلية التي استقطبت هجرات العلماء المغاربة وساعدت على سرعة اندماجهم في النسيج المجتمعي المشرقي، حيث توافر المناخ المشجع على طلب العلم والمساعد على الانصهار والتواشج بين أهالي دمشق والوافدين المغاربة، وهو ما يؤكده ابن بطوطة: "وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد، وهم يُحسنون الظن بالمغاربة ويطمئنون إليهم بالأموال والأهلين والأولاد، وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد أن يتأتّى له وجه من المعاش من إمامة مسجد، أو قراءة بمدرسة، أو ملازمة مسجد يجيء إليه فيه رزقه [...] ومن أراد طلب العلم أو التفرّغ للعبادة وجد الإعانة التامّة على ذلك"[48]. وقد كانت زيارة ابن بطوطة إلى المدينة في عهد السلطان الناصر أبي الفتح محمد بن المنصور بن سيف الدين قلاوون (709-741هـ/ 1309-1340م)، وهي الفترة نفسها التي هاجرت فيها على الأرجح عائلة السَّلَمِي المسلّاتي إلى المشرق لتحقق مجدًا علميًا أساسه في مدينة دمشق.

وعلاوة على هذه الظروف الموضوعية، والمتمثلة في عوامل طاردة في نواحي طرابلس ومجمل بلاد المغرب، وأخرى جاذبة ومستقطبة في حواضر مصر وبلاد الشام، تجدر الإشارة إلى خصائص ذاتية كانت تميّز أهالي نواحي مسلّاتة من باقي سكان المنطقة، منها الشغف في طلب العلم، حيث كانت من المنارات العلمية في إقليم طرابلس (الجهة الغربية من ليبيا الحالية) منذ أواخر الفترة الوسيطة وخلال العهد العثماني[49]، كما تعدّ نسبة "المسلّاتي" من أكثر النسب الحاضرة بتراجم المؤلفات المشرقية، مقارنة بباقي المناطق الطرابلسية. ويدعم هذا المعطى ما أورده في خصوصهم الرحالة العبدري على خلاف أسلوبه الساخط على باقي سكان المنطقة: "وفي جنوب بني حسن مسلّاتة، وهم قوم يبرون أهل الدين، ويُكرمون الحجاج، وهم على خير وصلاح"[50].

45 ابن خلدون، **العبر**، ج 7، ص 667.

46 محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي، **رحلة ابن جبير** (بيروت: دار صادر، 1964)، ص 15-16.

47 المرجع نفسه، ص 258.

48 ابن بطوطة، ص 104-105.

49 غيث عبد الله العربي، **مسلّاتة في العهد العثماني الثاني 1835-1911: دراسة في الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية** (طرابلس، ليبيا: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2010)، ص 141-232.

50 العبدري، ص 483.

ثالثًا: الوجاهة الاجتماعية لعائلة المسلّاتي والاستراتيجيات المعتمدة لتحقيقها

1. أوجه الوجاهة الاجتماعية والعلمية للعائلة

تمكّنت عائلة السَّلمي المَسلّاتي من تصدّر مكانة مرموقة في المجتمع المشرقي، حيث حقق أفرادُها مجدًا عائليًا تشكّل في أوجهٍ عديدة، منها الوظائف الدينية والعلمية السامية التي شغلوها، والألقاب النخبوية التي حملوها، والثروة المادية التي حققوها.

أ. تقلد الوظائف السامية

وظيفة قاضي القضاة

كانت الخطط القضائية من أهم المناصب الإدارية - الدينية التي شغلها أفراد عائلة السّلمي المسلّاتي، خاصة منها خطة قاضي القضاة على المذهبين المالكي والشافعي في مدينة دمشق. وتُعدّ هذه الوظيفة من أرفع المناصب الإدارية - الدينية خلال العصر المملوكي[51]، حيث كان تعيين قاضي القضاة يتم بتوقيع رسمي من السلطان المملوكي في القاهرة، ويحمله البريد إلى دمشق، ويجري التقليد في الجامع الأموي، وكان القاضي المعيّن يجلس في محراب المقصورة المخصصة لمذهبه ويقرأ كتاب التقليد، ثم يسير القاضي وعليه الخلعة في موكب حافل إلى دار السعادة، ليسلّم على نائب السلطنة، وفي اليوم الموالي يباشر عمله في الحكم[52]. ويبرز سموّ هذه الوظيفة وجلالتها أيضًا في نظر الحكام والعامة على حد السواء، من خلال دلالة الألفاظ التي يخاطبون بها عندما توجّه إليهم المراسلات، حيث عادة ما تستهل بالديباجة التالية: "المقر الشريف العالمي المولوي القضائي الكبيري الإمامي العالمي الصلاحي ..."[53]. وكان أول من تولّى هذه الوظيفة من العائلة هو جمال الدين محمد بن عبد الرحيم (ت. 771هـ/ 1370م) يوم الأحد، في الرابع والعشرين من محرّم 748هـ/ 1348م[54]، ويُعدّ من أشهر القضاة المالكية الذين تولوا خطة القضاء في مدينة دمشق خلال العصر المملوكي. وقد تجاوزت مدة ولايته هذه الخطة عشرين عامًا (748-771هـ/ 1348-1370م)، تخلّلتها فترات من العزل، لكن سرعان ما كان يعود إلى منصبه من جديد، حيث عزل في أواخر عام 759هـ/ 1358م بشرف الدين بن الحسين العراقي، ثم أعيد إلى خطته في أوائل السنة الموالية. كما عزل مرة ثانية في عام 767هـ/ 1366م، ثم عُيّن من جديد في عام 769هـ/ 1368م عوضًا عن سري الدين أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هاني الأندلسي المالكي[55]. وقد

---

51 بشأن منصب قاضي القضاة ودوره خلال العصر المملوكي، ينظر مثلًا: خالد محمد الحريري، "قاضي القضاة ودوره في دولة المماليك البحرية (658-748هـ/ 1260-1382م)"، رسالة ماجستير في تاريخ العرب والإسلام، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2011-2012؛ محمد الرحيل غرايبة، "تعدّد منصب قاضي القضاة في العصر المملوكي وآثاره (663هـ/ 1265م-922هـ/ 1517م)"، **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية** (جامعة قطر)، العدد 13 (1995)، ص 253-291؛ علي صالح رسن المحمداوي، "علاقة القضاة المماليك البحرية بالسلطة الحاكمة في مصر (648-784هـ/ 1261-1382م)"، **مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)** (العراق)، مج 31، العدد 1(2006)، ص 90-105؛ علي أحمد، "القضاء في عصر المماليك"، **مجلة دراسات تاريخية**، العددان 87-88 (أيلول/ سبتمبر - كانون الأول/ ديسمبر 2004)، ص 263-296.

52 بخصوص مراسم تقليد قاضي القضاة خلال العصر المملوكي، ينظر: عصام محمد شبارو، **قاضي القضاة في الإسلام**، ط 2 (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1992)، ص 58-59؛ الحريري، ص 67-69.

53 القلقشندي، ج 12، ص 290-291؛ زعرور، ص 82؛ بن معمر، ص 149.

54 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق حسن إسماعيل مَرْوة، ط 2 (دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 2010)، ج 16، ص 336.

55 ابن قاضي شهبة، ج 3، ص 377؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11-12؛ المقريزي، **السلوك**، ج 4، ص 235، 329، 336؛ الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986)، ج 3، ص 300؛ ابن العراقي، ج 1، ص 300-301.

اشتهر جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلّاتي بالعدل والنزاهة، وتميّز، شأنه شأن قضاة المالكية، بالصلابة تجاه الزنادقة والمرتدين. وفي هذا السياق، يذكر ابن كثير حادثتين قد أصدر فيهما جمال الدين حكم الإعدام، تتعلق الأولى برجل من نصارى قرية الرأس التابعة لبعلبك، يدعى داود بن سالم، مُتّهم بالسب والقذف في حق الرسول، حيث حكم عليه بالقتل بعد اعترافه بالتهم المنسوبة إليه، ونفّذ فيه الحكم في سوق الخيل بعد آذان العصر، من يوم الأربعاء الحادي عشر من رجب 756هـ/ 1353م[56]. أما الحادثة الثانية، فتتعلق بإصدار حكم الإعدام في حق "رافضي" يُدعى محمود بن إبراهيم الشيرازي، متّهم بسب ولعن الصحابة في عام 766هـ/ 1366م[57].

أما الثاني الذي تقلّد منصب قاضي القضاة من عائلة السَّلَمِي المسلّاتي، فهو سري الدين محمد، وهو ابن جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلّاتي المذكور سابقًا، وسبط القاضي تقي الدين أبي الحسن علي السبكي، وصهر قاضي قضاة الشافعية برهان الدين إبراهيم بن جماعة (ت. 790هـ/ 1388م). وقد جرى تعيينه في خطة قاضي القضاة الشافعي في دمشق، وحُمل إليه التقليد في أواخر شعبان 790هـ/ أوائل أيلول/ سبتمبر 1388م عوضًا عن صهره برهان الدين بن جماعة[58]. ويجدر التنويه إلى أن القضاة الشافعية من الأندلسيين والمغاربة في مدينة دمشق كانوا قليلي العدد إذا ما قورنوا بالقضاة المالكية، ويفسَّر ذلك بشدة المنافسة في مجال يهيمن عليه المذهب الشافعي، ما يجعل فرصة الوصول إلى هذه الخطة عادة من الأمور الصعبة بالنسبة إلى المغاربة[59]. لكن تميّز سري الدين بأهليته العلمية من جهة، والسلوكية الأخلاقية من جهة أخرى، أهّلاه لتولي خطة قاضي القضاة الشافعي، حيث "كان معدودًا من علماء الشافعية" على حد قول ابن تغري بردي[60].

علاوة على منصب قاضي القضاة، شغل معظم أفراد العائلة خطة إنابة الحكم على المذهبين المالكي والشافعي، حيث ناب جمال الدين محمد بن عبد الرحيم عن القاضي المالكي في دمشق شرف الدين أبي عبد الله محمد الهمذاني، قبل استقلاله بمنصب قاضي القضاة في عام 748هـ/ 1347م[61]. كما استناب ابنه سري الدين عن صهره برهان الدين بن جماعة في قضاء الشافعية في القاهرة في عام 777هـ/ 1376م بعد زواجه من ابنته، ودامت مدة نيابته نحو سنة[62]. وكذلك ناب أمين الدين محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم المسلاتي عن عمّه وصهره جمال الدين محمد بن عبد الرحيم على القضاء المالكي في دمشق[63].

وظيفة قاضي العسكر في دمشق

يختص هذا القاضي بفضّ النزاعات التي تحدث بين عناصر الجيش في مدينة دمشق. وبخلاف خطة قاضي القضاة التي تمثل المذاهب الأربعة، عادة ما يقتصر منصب قاضي العسكر على المذهب الشافعي[64]. وقد شغل هذه الخطة من عائلة المسلّاتي القاضي سري الدين محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الرحيم في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[65].

---

56 ابن كثير، ج 16، ص 378.

57 المرجع نفسه، ص 455.

58 ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 1، ص 351، 541؛ ابن حجي، ج 1، ص 230؛ المقريزي، **السلوك**، ج 5، ص 210.

59 عيفة، ص 285-286؛ زعرور، ص 74.

60 ابن تغري بردي، ج 12، ص 160.

61 ابن قاضي شهبة، ج 3، ص 377؛ ابن كثير، ج 16، ص 336؛ بن معمر، ص 152.

62 ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 1، ص 106، 541؛ ابن حجي، ج 1، ص 230.

63 ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 17؛ ابن رافع، ج 2، ص 273-274؛ ابن العراقي، ج 1، ص 137-138؛ السخاوي، ج 1، ص 134.

64 فريال يوسف بدوي، "الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي"، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمّان، 1980، ص 134.

65 ابن حجي، ج 1، ص 230.

وظيفة إفتاء دار العدل في دمشق

يأتي منصب مفتي دار العدل من حيث الأهمية بعد قاضي العسكر، وكان في دمشق خلال العصر المملوكي مفتيان، أحدهما شافعي والآخر حنفي، ويتم تعيينهما من النائب في دمشق[66]. وقد تقلّد هذه الخطة في أواخر القرن الثامن الهجري سري الدين محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلّاتي[67].

خطابة المساجد الكبرى في بلاد الشام

تولّى هذه الوظيفة في أكبر مساجد بلاد الشام من حيث المكانة والرمزية قاضي القضاة الشافعي سري الدين محمد، المعروف بابن المسلّاتي، حيث شغل خطة خطيب الجامع الأموي في دمشق في 791هـ/ 1388م[68]، كما تولّى خطابة المسجد الأقصى في بيت المقدس بعد وفاة أخ زوجته وابن برهان الدين بن جماعة، محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت. 795هـ/ 1392م)[69].

مشيخة الشيوخ في دمشق

تولّى سري الدين محمد بن المسلّاتي وظيفة شيخ الشيوخ في دمشق في عام 791هـ/ 1388م[70]. وكان من مهمات صاحب هذه الخطة الإشراف على شيوخ الزوايا وتأطير أنشطتهم، ويمثل حلقة الوصل بينهم وبين السلطات، كما كان يشرف على الخوانق والفقراء ويهتم بما تحتاجه هذه المؤسسات[71].

خطة ناظر الأوقاف

تُعد من الوظائف الدينية - الإدارية التي ازدهرت خلال العصر المملوكي، وأصبحت وظيفة ذات شأن كبير، وتُوكل إلى صاحبها مهمة الحفاظ على الأوقاف وإحصاء إيراداتها وتدبير شؤونها[72]. وقد تولّى هذه الخطة كذلك القاضي سري الدين محمد الذي يقول في شأنه ابن حجي: "وكان عفيفًا نزيهًا شريف النفس حسن المباشرة للأوقاف، ولم يكن بالمتبسط في مأكله ومشربه، ولا في ملبسه"[73].

وظيفة التدريس

تميّز أفراد أسرة المسلّاتي في مجال التدريس في مدينة دمشق خلال العصر المملوكي، وكانت لهم مساهمة فعالة ومنوّعة، حيث درّست غالبيتهم في عدد من المدارس، بل كان لبعضهم الدور الأبرز في تلك المدارس، وقد برعوا خاصة في علم الحديث، مثل المحدّث

---

66 بدوي، ص 135؛ حسام الدين عباس الحزوري، "من مظاهر الحياة الاجتماعية في نيابة دمشق خلال عصر المماليك البحرية 659-784هـ/ 1261-1383م"، **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية**، العدد 63 (2014)، ص 424.

67 ابن حجي، ج 1، ص 230.

68 المرجع نفسه؛ المقريزي، **السلوك**، ج 5، ص 259.

69 ابن حجي، ج 1، ص 230.

70 المقريزي، **السلوك**، ج 5، ص 259.

71 بدوي، ص 138.

72 المرجع نفسه، ص 135-136؛ عمار مرضي علاوي، "الحياة المعيشية والاقتصادية للعلماء في العصر المملوكي 648-923هـ"، **مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية**، العدد 28، ج 2 (2018)، ص 161.

73 ابن حجي، ج 1، ص 230.

جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلّاتي الذي درّس علم الحديث في المدرسة الظاهرية[74]، إذ تُفيد المدوّنة المصدرية أنّ تقيّ الدين بن رافع السلّامي قد خرّج له جزءًا حدّث به أو "مشيخة"[75]. ومن أشهر تلاميذه نذكر ابن العراقي ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسن (ت. 826هـ/ 1423م) صاحب كتاب **الذيل على العبر في خبر من غبر** الذي سمع عليه علم الحديث[76]، وابن الجزري الدمشقي أبو الخير محمد بن محمد (ت. 833هـ/ 1430م) صاحب كتاب **غاية النهاية في طبقات القرّاء** الذي صحبه كثيرًا وسمع منه **الدعاء** للمحاملي وغيره[77]. كما تولّى جمال الدين محمد أيضًا مشيخة الحديث في المدرسة الظاهرية[78]، وهي الوظيفة التي ورثها من بعده ابنه سريّ الدين محمد[79]. وتولى هذا الأخير أيضًا التدريس في مدارس شافعية عدة، مثل المدرسة الركنية[80] والشامية الجوانية[81]، وهي وظائف سيمرّرها بدوره إلى ابنه جمال الدين بن سري الدين محمد، إلى جانب خطة ناظر الخانقاه المجاهدية[82].

كما كان لأفراد عائلة المسلّاتي دورٌ في التدريس من خلال المؤسسات التعليمية الأخرى من غير المدارس، فقد درّس جمال الدين محمد بن عبد الرحيم في حلقة صاحب حمص[83] في الجامع الأموي في دمشق[84]، وكان عادة ما ينوبه فيها ابن أخيه وزوج ابنته أمين الدين محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم المسلّاتي[85].

ب. حمل الألقاب الشرفية - النخبوية

من أوجه وجاهة أفراد عائلة السّلمي المسلّاتي في المجتمع المشرقي، خاصة في مدن مصر وبلاد الشام، تلقّبهم بالألقاب الشرفية التي عادة ما تطلق على النخب الدينية وأرباب القلم خلال العصر المملوكي، وهي ألقاب تعكس المكانة الاجتماعية المرموقة التي كان يتمتع بها أفراد هذه العائلة في مدن القاهرة ودمشق وبيت المقدس، ويمكن حصرها من خلال كتب التراجم في الألقاب التالية:

الإمام

تلقّب به قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلّاتي[86]. وقد اصطلح في البداية أن يطلق هذا اللقب على من يُعتبَر قدوةً في شأنٍ من شؤون الدين، ثم شمل لاحقًا أهل الصلاح والزهد ورجال العلم والدين[87].

74 المدرسة الظاهرية (الجوانية): من أهم مدارس الشافعية في مدينة دمشق، تقع داخل باب الفراديس، في جوار الجامع الأموي وشمال باب البريد، وتقابل المدرسة العادلية الكبرى، وكانت من قبل تُعرف بدار العقيقي، ثم اشتراها بعد وفاته الملك الظاهر بيبرس من ورثته وبناها مدرسة ودار حديث في حدود عام 670هـ/ 1271م. ينظر: النعيمي، ج 1، ص 348-349؛ العسيري، ص 181.

75 ينظر مثلًا: ابن طولون، ص 248؛ ابن قاضي شهبة، ج 3، ص 377؛ ابن رافع، ج 2، ص 360؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11.

76 ابن العراقي، ص 301.

77 ابن الجزري، ج 2، ص 151.

78 ابن العراقي، ج 1، ص 300-301؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11-12؛ السخاوي، ج 1، ص 177؛ ابن رافع، ج 2، ص 360؛ المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 326-327؛ ابن طولون، ص 248-249.

79 ابن حجي، ج 1، ص 230.

80 المدرسة الركنية الجوانية: من المدارس الشافعية في دمشق، واقفها ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين سليمان العادلي. ينظر: النعيمي، ج 1، ص 190.

81 الشامية الجوانية: تقع قبلي المارستان النوري، أنشأتها ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شادي، أخت الملك الناصر صلاح الدين. ينظر: المرجع نفسه، ص 208، 227.

82 المرجع نفسه، ص 230؛ ج 2، ص 977.

83 يذكرها النعيمي باسم "سبع ابن صاحب حمص"، وهي من الأسباع المجري عليها الأوقاف في الجامع الأموي. ينظر: المرجع نفسه، ج 2، ص 411.

84 ابن رافع، ج 2، ص 360؛ السخاوي، ج 1، ص 177.

85 ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 3، ص 17؛ ابن رافع، ج 2، ص 273-274.

86 الذهبي، ج 4، ص 145.

87 الباشا، ص 171-172.

سيدنا

هو في الأصل لقب "السيد" الذي يُضاف إلى ضمير المتكلم الجمع، فيقال "سيدنا"، وكان يستعمل في مخاطبة أجلّ رجال السياسة والعلم والدين[88]. وقد أطلقه الذهبي على القاضي جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلّاتي[89].

الشيخ

حمل هذا اللقب كل من زين الدين عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك السّلمي المسلّاتي[90]، وابنه قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحيم[91]. وكان هذا اللقب يطلق على كبار السن ومن يراد توقيره من العلماء، ثم اتسع مجاله، حيث أُطلق خلال العصر المملوكي على كبار العلماء والوزراء ورجال الكتابة والمحتسبين[92].

شيخ الشيوخ

لقّب به كبير الصوفية، حيث كان يطلق على متولّي الإشراف على رجال الصوفية جميعًا. وخلال العصرين الأيوبي والمملوكي، أصبح لقبًا فخريًا، يطلق على شيخ الخانقاه الصلاحية، ثم لاحقًا على شيخ الخانقاه الناصرية التي بناها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سرياقوس، حيث صارت مشيخة الشيوخ إلى شيخها[93]. وفي عام 778هـ/ 1376م، أُبطل هذا اللقب من متولّي مشيخة خانقاه سرياقوس وحمله ضياء الدين عبيد الله القرمي الذي استقر في مشيخة المدرسة الأشرفية، ثم حمله من بعده أحد أفراد عائلة المسلّاتي، وهو قاضي القضاة سري الدين محمد بن المسلاتي، خطيب الجامع الأموي، وشيخ الشيوخ في دمشق، وكان ذلك في عام 791هـ/ 1388م[94].

الألقاب المضافة إلى الدين

ويُعرف هذا النوع من الألقاب عند القلقشندي بـ "لقب التعريف الخاص"[95]. ومن هذا الصنف حمل أفراد عائلة السّلمي المسلّاتي الألقاب التالية:

---

88 المرجع نفسه، ص 348-349.

89 الذهبي، ج 4، ص 204.

90 ابن تغري بردي، ج 11، ص 109.

91 ابن طولون، ص 248.

92 الباشا، ص 364؛ سعود محمد العصفور، "ألقاب الصوفية في العصر المملوكي (الجزء الأول)"، **مجلة "المواقف" للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، العدد 1 (كانون الأول/ ديسمبر - كانون الثاني/ يناير 2007)، ص 228-229.

93 الباشا، ص 366-367؛ العصفور، ص 229-230.

94 المقريزي، **السلوك**، ج 5، ص 259؛ العصفور، ص 229.

95 القلقشندي، ج 5، ص 489.

❁ **زين الدين:** وهو من الألقاب المركبة خلال عصر المماليك وتخص أرباب الأقلام وكبار التجار والعسكريين والقضاة ورجال الصوفية وأهل الصلاح[96]. وقد حمله من عائلة المسلّاتي عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك السّلمي المسلّاتي، والد قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحيم[97].

❁ **جمال الدين:** لُقّب به كل من قاضي قضاة المالكية المشهور في دمشق محمد بن زين الدين عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك المسلّاتي[98] وحفيده جمال الدين بن سري الدين محمد[99]. وقد شاع هذا اللقب خلال العصر المملوكي بين العسكريين من الترك والمدنيين من القضاة والعلماء[100].

❁ **سري الدين:** من الألقاب المستخدمة لأرباب القلم والقضاة خلال العصر المملوكي، وقد تلقّب به ابن جمال الدين محمد قاضي القضاة الشافعي، سري الدين محمد بن جمال الدين محمد بن زين الدين عبد الرحيم المسلّاتي[101].

❁ **أمين الدين:** من ألقاب النخبة من رجال الدين والعلم والقضاة، وقد حمل هذا اللقب ابن أخ وصهر قاضي القضاة جمال الدين محمد المسلّاتي، المعروف بأمين الدين محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك المسلّاتي[102].

❁ **شرف الدين:** يفيد بالشرف والعلوّ، وقد دخل لفظ "شرف" في تكوين الكثير من الألقاب المركبة خلال العصر المملوكي، مثل ألقاب كبار رجال الدولة والعلماء والقضاة[103]. وقد لُقّب به من عائلة المسلّاتي حفيد قاضي القضاة جمال الدين محمد، المدعو شرف الدين محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك السّلمي المسلّاتي[104].

ج. الشرف الاجتماعي والثروة

تمكّنت عائلة السّلمي المسلّاتي من الانصهار مع العائلات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة عبر شبكة المصاهرات التي ربطتهم بأعيان عصرهم، ومثّل ذلك بالنسبة إليهم شكلًا من أشكال الوجاهة الاجتماعية، حيث تزوج قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحيم (ت. 771هـ/ 1370م) بستيتة (ت. 776هـ/ 1374م)، ابنة تقي الدين أبي الحسن علي السبكي (ت. 756هـ/ 1355م)، بعد وفاة زوجها الأول القاضي تقي الدين أبي الفتح محمد بن عبد اللطيف السبكي (ت. 744هـ/ 1353م)[105]. ويعتبر تقي الدين السبكي، صهر جمال الدين المسلّاتي، وجدّ ابنه سري الدين المعروف بابن المسلّاتي، مؤسسَ مجد عائلة آل السبكي في نيابة دمشق خلال العصر المملوكي،

96 المرجع نفسه، ص 488-489؛ الباشا، ص 313-314.

97 على سبيل الذكر لا الحصر، ينظر: المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 326؛ المقريزي، **السلوك**، ج 4، ص 338؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 5، ص 258؛ ابن إياس الحنفي، ج 1، ص 99؛ ابن طولون، ص 248-249؛ ابن تغري بردي، ج 11، ص 109-110.

98 المرجع نفسه.

99 ابن حجي، ج 2، ص 977.

100 القلقشندي، ج 5، ص 488-489؛ الباشا، ص 240.

101 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 72-73؛ المقريزي، **السلوك**، ج 4، ص 391؛ ج 5، ص 210؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 12؛ ابن حجي، ج 1، ص 228، 230؛ ابن شاهين الظاهري، ج 2، ص 380.

102 ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 17؛ الذهبي، ج 4، ص 204-205؛ ابن العراقي، ج 1، ص 137-138؛ ابن رافع، ج 2، ص 273-274.

103 الباشا، ص 355-357.

104 ابن شاهين الظاهري، ج 2، ص 262.

105 ابن حجي، ج 2، ص 977؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11-12؛ ابن قاضي شهبة، ج 3، ص 377؛ ابن طولون، ص 248-249. حول ترجمة تقي الدين أبي الفتح محمد بن عبد اللطيف بن علي بن تمام السبكي، ينظر مثلًا: الذهبي، ج 4، ص 133؛ أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الأرناؤوط (دمشق: دار ابن كثير، 1993)، ج 8، ص 245.

فهو أول من قدِم من عائلته إلى دمشق لتولّي قضاء الشافعية في 19 ذي الحجة 739هـ/ 1339م[106]. وأصل العائلة من قرية سبك العبيد من أعمال المنوفية في مصر، وهي أسرة شريفة النسب، كريمة الحسب، تنتمي إلى قبيلة الخزرج الأنصارية من بطن أسلم[107]. ويقول في شأن نسبها فضل الله العمري في أثناء حديثه عن الشيخ تقي الدين السبكي: "جواد جرى على أعراقه، وجاء على أثر سباقه، من عصابة الأنصار حيث تعرف في الحسب التليد، وتدّخر شرف النسب للمواليد"[108]. وكان لعائلة السبكي دورٌ مهمٌ في نيابة دمشق، من حيث دورهم في الحياة العلمية والإدارية، وكذلك من خلال الوظائف السامية التي تولّوها (تدريس، وخطابة، وقضاء)[109].

أما الأسرة الثانية التي اندمجت فيها عائلة السَّلَمِي المسلّاتي عبر المصاهرة، فهي أسرة بني جماعة، حيث تزوج سري الدين محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلاتي بابنة قاضي القضاة في مصر والشام وخطيب المسجد الأقصى، برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة (ت. 790هـ/ 1388م)[110]. وهي أسرة عربية عدنانية كانت مستقرة في حماة من بلاد الشام، ثم انتقلت لتحقّق مجدًا ومكانة اجتماعية مرموقة في مدينة القدس[111]. وكان إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر (ت. 675هـ/ 1276م)، والملقب ببرهان الدين أبي إسحاق الكناني الحموي، أول من سكن من هذه الأسرة في مدينة القدس[112]. وقد أسس هو وعقبه من بعده أسرة علمية كبرى في مدينة القدس، كان لها أثر واضح في الحياة العامة على امتداد العصر المملوكي[113]، وقد وصفهم الذهبي بـ "بيت الدين والصلاح"[114]. أما العليمي، فنعتهم بـ "بيت علم ورياسة"[115]. وعلاوة على اشتغالها بخطة القضاء، تميزت أسرة بني جماعة خاصة في مجال الخطابة، ويتجلّى ذلك في عدد الخطباء المنتمين إلى هذه العائلة من جهة، وهيمنتهم على خطابة المسجد الأقصى برمزيته من جهة أخرى، ولعل هذا ما يفسّر تحوّل اسم شهرة العائلة من "بني جماعة" إلى "آل الخطيب" في أواخر العهد العثماني[116]. ومن الناحية المنهجية، يمكن اعتبار مصاهرة العائلات المرموقة أحد مظاهر الوجاهة الاجتماعية، وفي الوقت نفسه من الاستراتيجيات التي عملت عليها العائلة لتحقيق هذه الوجاهة وديمومتها، كما سنبيّن ذلك لاحقًا.

---

106 ابن كثير، ج 16، ص 286، 377-378؛ ابن الجزري، ج 1، ص 551؛ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي، ط 2 (الجيزة: دار هجر للطباعة، 1992)، ج 10، ص 139-338؛ ابن العماد الحنبلي، ج 8، ص 180-181؛ حسام الدين عباس الحزوري، **دمشق والسبكيين خلال العصر المملوكي: تاريخ وحضارة** (دمشق: دار الحافظ الدولية للاستشارات والنشر والتوزيع، 2013)، ص 33-56؛ محمد الصادق حسين، **البيت السبكي: بيت علم في دولتي المماليك** (القاهرة: دار الكتاب المصري، 1948)، ص 50-60.

107 الحزوري، **دمشق والسبكيين**، ص 29-33.

108 أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق إبراهيم صالح (أبوظبي: المجمع الثقافي، 2002)، ج 5، ص 746؛ السبكي، ج 10، ص 145.

109 الحزوري، **دمشق والسبكيين**، ص 128-130.

110 ابن حجي، ج 1، ص 230؛ المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 72-73. وبخصوص ترجمة برهان الدين بن جماعة، ينظر مثلاً: ابن تغري بردي، ج 11، ص 314-315؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 1، ص 355.

111 ضياء الدين محمد يونس حماد، "الأسر العلمية في القدس ودورها في الحياة العامة خلال العصر المملوكي (648-922هـ/ 1250-1516م)"، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2019، ص 10-11.

112 المرجع نفسه، ص 11.

113 المرجع نفسه، ص 27-31، 47-48، 80-81، 88-91.

114 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط 2 (بيروت: دار الكتاب العربي، 1993)، ج 47، ص 460.

115 مجير الدين الحنبلي العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تحقيق عدنان يونس أبو تبانة (عمان: مكتبة دندنيس، 1999)، ج 2، ص 116.

116 حماد، ص 11.

إلى جانب اندماج أسرة السَّلَمِي المسلّاتي في الطبقات الاجتماعية المرموقة، وتحقيق شرف اجتماعي لافت، تمكّن أفرادها من تجميع ثروة مادية طائلة من خلال الوظائف السامية التي تقلّدوها، حيث تُخبرنا المصادر أن القاضي جمال الدين محمد بن عبد الرحيم قد ترك ثروة بعد وفاته[117]. وتفيدنا أيضًا أن ابنه سريّ الدين محمد ترك لابنه جمال الدين الحفيد من بعده أموالًا طائلة وأملاكًا كثيرة وأوقافًا يبدو أنها من صنف "أوقاف الذرية"[118]. لكن هذا الأخير أتلف كل شيء وصار يسأل الناس، حيث يقول ابن حجي في ترجمته: "ويومئذ توفي جمال الدين ابن القاضي محمد ابن القاضي جمال الدين محمد المسلّاتي، ولد بعد موت أبيه، عيّن له تدريس الشامية الجوانية والركنية وغيرها من الوظائف وخلّف له مالًا كثيرًا وملكًا ووقفًا، فأتلف الجميع وصار يسأل الناس ولما مات [...] له كفنًا"[119].

يبدو أن مجد عائلة السَّلَمِي المسلّاتي ومكانتهم الاجتماعية قد أفلت وضاع مع جمال الدين الحفيد الذي يمثل الجيل الرابع، وهو ما يوافق النظرية الخلدونية التي تقول إن "نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء"، ويفصّل في تفسيرها قائلًا: "ومعناه أن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه، شأن كل محدث، ثم إن نهايته في أربعة آباء، وذلك أن باني المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي أسباب كونه وبقائه، وابنه من بعده مباشر لأبيه فقد سمع منه ذلك وأخذ عنه إلّا أنه مقصّر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاني له، ثم إذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد، خاصة، فقصّر عن الثاني تقصير المقلّد عن المجتهد، ثم إذا جاء الرابع قصّر عن طريقتهم جملة وأضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهّم أن ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلّف وإنما هو أمر وجب لهم منذ أول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصابة ولا بخلال"[120].

2. الاستراتيجيات المعتمدة لصنع المجد العائلي

اعتمدت عائلة السّلمي المسلّاتي استراتيجيات منوعة في سبيل تحقيق الوجاهة الاجتماعية والوصول إلى المناصب العليا، وسلكت في ذلك سبل شتّى، أهمها:

أ. التحصيل العلمي والحصول على الإجازات العلمية

حرص أفراد عائلة المسلّاتي على النهل من مختلف المراكز العلمية في المشرق خلال العصر المملوكي، مثل الإسكندرية والقاهرة ودمشق؛ فقد سمع جمال الدين محمد بن عبد الرحيم **الدعاء** للمحاملي في الإسكندرية عن عبد الرحمن بن مخلوف (ت. 722هـ/ 1322م)[121]، ومن عز القضاة عبد الواحد بن منصور بن المنير الإسكندري المالكي (ت. 733هـ/ 1333م) سمع **موطأ** مالك[122]. وفي القاهرة قرأ القراءات السبع على الشيخ تقي الدين بن الصائغ (ت. 725هـ/ 1324م)[123]، كما قرأ على الشيخ أبي الحسن علي القونوي وعلى الشيخ أبي حيّان[124].

---

117 ابن رافع، ج 2، ص 360.

118 حول أصناف الوقف خلال العصر المملوكي، ينظر: الحزوري، **دمشق والسبكيين**، ص 22-23. أما بخصوص توريث الوقف، ينظر مثلاً:
Julien Loiseau, "Choisir sa famille: Waqf et transmission patrimoniale en Egypte au XVe siècle," *Annales Islamologiques*, vol. 47 (2013), pp. 175-195.

119 ابن حجي، ج 2، ص 977.

120 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق خليل شحادة، ط 2 (بيروت: دار الفكر، 1988)، ص 171-172.

121 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 188؛ ابن رافع، ج 2، ص 360؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11؛ الفاسي، ج 1، ص 261-270؛ ابن الجزري، ج 2، ص 151؛ ابن العراقي، ج 1، ص 300-301؛ ابن قاضي شهبة، ج 3، ص 377؛ ابن طولون، ص 248-249.

122 الفاسي، ص 270؛ المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 188؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11.

123 ابن الجزري، ج 2، ص 151.

124 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 326؛ ابن رافع، ج 2، ص 360؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11-12؛ ابن العراقي، ج 1، ص 301؛ ابن قاضي شهبة، ج 3، ص 377؛ ابن تغري بردي، ج 11، ص 110.

أما في دمشق، فقد تتلمذ على مسندها أبي العباس الحجار وسمع منه **صحيح البخاري** و**جزء ابن مخلد**[125]، وكذلك سمع فيها من أحمد بن الشحنة، ومن أيوب الكحّال والقاضي شرف الدين بن الحافظ وغيرهم[126]. وتذكر المصادر أن ابن جمال الدين محمد القاضي سري الدين محمد قد تتلمذ، شأن ابنه عمّه أمين الدين، على سادة العلم في عصره، مثل محمد بن الخباز وغيره[127]. وقد حرص جمال الدين المالكي على أن يتفقّه ابنه سري الدين على مذهب أخواله الشافعية (آل السبكي)، حيث نشأ عندهم وحفظ **العمدة** لعبد الغني في الحديث و**الألفية** لابن مالك وبعض **النبيه في اختصار التنبيه**[128]. كما عمد في عام 754هـ/ 1353م إلى إجازته من كبار شيوخ عصره في القاهرة وعمره لم يتجاوز ثلاثة أعوام[129]. ويعتبر الحرص على تعليم الصغار وإجازتهم من الاستراتيجيات الرائجة خلال العصر المملوكي لدى العائلات العلمية من أجل المحافظة على رأسمالها الثقافي وتمريره إلى الأجيال المتعاقبة[130].

ب. مصاهرة العائلات العلمية المتنفّذة

يبدو أن عائلة السَّلَمِي المسلّاتي قد حرصت على مصاهرة العائلات العلمية المتنفّذة اجتماعيًا والمؤثّرة سياسيًا، من أجل صنع مجدها العائلي والمحافظة على مرتكزاته الرمزية والمادية. وتُعدّ المصاهرة من الاستراتيجيات الرائجة خلال ذلك الوقت من أجل تحقيق الشرف الاجتماعي والوصول إلى المناصب السامية في الدولة[131]، حيث يؤكد ابن خلدون أن القرابة والمصاهرة تُعدّان من المحددات الرئيسة في ثقافة المجتمع الذي عاش فيه وبنيته[132]. وتفيدنا المصادر أن عائلة المسلّاتي اعتمدت نظام المصاهرة من داخل العائلة، إلى جانب انفتاحها الزواجي على العائلات العلمية المشهورة، وذلك من أجل توريث ما يسمّى "رأس المال الثقافي والاجتماعي"[133]. فقد تزوّج أمين الدين محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم المسلّاتي بابنة عمّه قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلّاتي[134]. أما بخصوص الانفتاح على مصاهرة العائلات العلمية المشهورة حتى يقوى جانبها بـ "الوصلة والالتحام"، بحسب التعبير الخلدوني، فقد صاهرت العائلة أسرة آل السبكي من خلال زواج جمال الدين محمد بن عبد الرحيم (ت. 771هـ/ 1370م) بستيتة ابنة قاضي القضاة المشهور تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن تمام بن يوسف السبكي الشافعي (ت. 756هـ/ 1355م)[135]. ولتأكيد المكانة العلمية والاجتماعية

125 الفاسي، ج 1، ص 269-270؛ ابن العراقي، ص 300؛ ابن قاضي شهبة، ج 3، ص 377.

126 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 188؛ الفاسي، ج 1، ص 270.

127 ابن رافع، ج 2، ص 273-274؛ ابن حجي، ج 1، ص 230.

128 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 72-73؛ ابن حجي، ج 1، ص 230.

129 ابن حجي، ج 1، ص 230.

130 ينظر حول هذه المسألة:
Houari Touati, "Les Héritiers: Anthropologie des maisons de sciences maghrébines au XIe/ XVIIe et XIIe/ XVIIIe siècle," in: Hassan Elboudrari (dir.), *Modes de transmission de la culture religieuse en islam* (Caire: Institut français d'archéologie orientale - IFAO, 1993), pp. 65-92; Jonathan Berkey, *The Transmission of Knowledge in Medieval Cairo: A Social History of Islamic Education* (Princeton: Princeton University Press, 1992); Jonathan Berkey, *The Formation of Islam: Religion and Society in the Near-East, 600-1800* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003), pp. 224-230; Franz Rosenthal, *Knowledge Triumphant: The Concept of Knowledge in Medieval Islam* (Leiden/ Boston: Brill, 2007), pp. 322-333; Michael Chamberlain, *Knowledge and Social Practice in Medieval Damascus, 1190-1350* (Cambridge: Cambridge University Press, 1994), pp. 87-90.

131 حول مراهنة العائلات العلمية على استراتيجية المصاهرة خلال العصر المملوكي، ينظر مثلاً:
Anne - Marie Eddé, "Stratégies familiales et transmission du savoir: Les Yūnīnī dans le Bilād al - Šam de la fin du XIIe au milieu du XIVe siècle," *Annales islamologiques*, vol. 47 (2013), pp. 115-132.

132 ابن خلدون، **المقدمة**، ص 160-161.

133 صمايري، ص 122.

134 ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 17؛ ابن العراقي، ج 1، ص 137-138؛ السخاوي، ج 1، ص 134؛ ابن كثير، ج 16، ص 445.

135 ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 11-12؛ ابن قاضي شهبة، ج 3، ص 377؛ ابن طولون، ص 248-249؛ ابن حجي، ج 1، ص 230.

المرموقة لهذه العائلة في نيابة دمشق، يكفي التذكير بالمناصب والوظائف التي تولّاها أفرادها (في مجالات التدريس والقضاء والخطابة)، والألقاب العلمية والدينية التي خُلِعت على تقي الدين السبكي (حجة الإسلام، شافعي الزمان، حبر الأمة، أستاذ الأمة ... إلخ)[136]. كذلك، حظي أفراد عائلة السبكي بتعظيم أكابر الدولة وقبول شفاعتهم، ولا أدلّ على ذلك من قول ابن حجر العسقلاني في أثناء ترجمته لتقي الدين أبي الحسن علي السبكي، صهر جمال الدين المسلاتي: "وكان كريم الدين الكبير والجاي الدوادار وجنكلي بن البابا والجاولي وغيرهم من أكابر الدولة الناصرية، يعظمونه ويقضون بشفاعته الأشغال"[137]. ويبدو أنه كان لهذه المصاهرة الأثر الكبير في نحت مسيرة جمال الدين وابنه سري الدين سبط القاضي تقي الدين السبكي، حيث فتحت للعائلة أبواب تقلّد المناصب الكبرى وتصدّر مكانة اجتماعية مرموقة. ولعله ليس من باب الصدفة أن يكون انتهاء مجد عائلة المسلّاتي في بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، متزامنًا مع أفول دور عائلة السبكي في مدينة دمشق، حيث مثلت في عام 809هـ/ 1406م تاريخ انتهاء سلسلة تولّي آل السبكي منصب القضاء، بعزل القاضي علي بن محمد، وهو آخر من تولّى القضاء من آل السبكي[138].

أما المصاهرة الخارجية الثانية، فقد ربطت العائلة بأسرة بني جماعة ذات المكانة العلمية والاجتماعية المرموقة في بلاد الشام، حيث تزوج سري الدين محمد بن جمال الدين المسلّاتي بابنة قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت. 790هـ/ 1388م)[139]. ويبدو أن هذه المصاهرة كانت بدورها مؤثرة ومحددة مسيرة سري الدين المهنية، حيث ورث عن أصهاره المناصب العليا، مثل قاضي قضاة دمشق وخطابة المسجد الأقصى والمسجد الأموي وغيرها من الوظائف السامية[140]. وهي في واقع الأمر انعكاس لتنفّذ أسرة بني جماعة في الحياة السياسية خلال العصر المملوكي، علاوة على مكانتهم العلمية والاجتماعية المرموقة[141]. وأبرز المتنفّذين من أفراد هذه العائلة هو برهان الدين إبراهيم بن جماعة، صهر سري الدين ابن المسلاّتي، حيث يقول ابن حجر العسقلاني في شأن مكانته لدى السلاطين المماليك: "ثم خُطب إلى قضاء الديار المصرية فوليه مرتين بصرامة وشهامة وقوة نفس وكثرة بذل وعزل نفسه مرارًا، ثم يُسأل ويُعاد، حتى همّ السلطان في بعض المرات أن ينزل إليه بنفسه ليترضّاه"[142].

ج. توريث الوظائف

تفيدنا المدوّنة المصدرية أن مسألة توريث الوظائف العلمية والدينية، مثل القضاء والتدريس والخطابة، كانت من الأمور الشائعة داخل الأسر العلمية خلال العصر المملوكي، حيث تتعدّد الأمثلة التي تشير إلى تعاقب الآباء والأبناء أو الأصهار على هذه المناصب عبر استنابة أحد أفراد العائلة، أو التنازل عن المنصب لفائدته، أو التدخل لدى الحكام للحصول على تعيين رسمي لمن سيخلف المنصب من بعده[143].

136 الحزوري، **دمشق والسبكيين**، ص 128-130.

137 ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 4، ص 75.

138 الحزوري، **دمشق والسبكيين**، ص 128.

139 ابن حجي، ج 1، ص 230؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 1، ص 541.

140 ينظر مثلاً: ابن حجي، ج 1، ص 230.

141 حماد، ص 47-48، 80-81، 88-91.

142 ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 1، ص 355.

143 حول استراتيجية توريث وظائف القضاء والتدريس داخل العائلات العلمية خلال العصر المملوكي، ينظر مثلاً: الحريري، ص 133-135؛ Eddé, pp. 121-125; Elise Voguet, "Les modalités de nomination des professeurs dans les Madrasa - s de Damas (XIIe - XVe siècle): La fonction de Mudarris, une charge d'enseignement ou une dignité rémunératrice?" *Bulletin d'Etudes Orientales*, vol. LV (2003), pp. 47-49.

وبخصوص عائلة السّلمي المسلّاتي، تستعمل المصادر مجموعة من المصطلحات والأفعال التي تفيد باختيار صاحب الوظيفة نائبه أو وريثه في المنصب، مثل "نزل له فلان عن" أو "عيّن له كذا" أو "استناب فلان". وقد استفاد من هذه الظاهرة خاصة سري الدين الذي "نزل له والده عن التدريس بحلقة صاحب حمص [...] وعن مشيخة دار الحديث بالظاهرية"[144]. كما "استنابه" صهره برهان الدين إبراهيم بن جماعة في قضاء القاهرة في عام 777هـ/ 1375م[145]، وخلفه في منصب قاضي قضاة الشافعية في دمشق عند وفاته في عام 790هـ/ 1388م[146]. أما أمين الدين بن عبد العزيز بن عبد الرحيم المسلاتي، فقد استنابه عمّه وصهره جمال الدين بن عبد الرحيم المسلّاتي في الحكم مطلقًا، وفي القضاء والتدريس عند غيبته[147]. وأخيرًا استفاد أيضًا جمال الدين (الحفيد) ابن القاضي سري الدين محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الرحيم المسلّاتي من هذه الظاهرة، حيث "عين له تدريس الشامية الجوانية والركنية وغيرها من الوظائف"[148].

تُعدّ هذه الظاهرة من الاستراتيجيات المعتمدة داخل العائلات العلمية خلال العصر المملوكي للمحافظة على الوجاهة الاجتماعية والعلمية واحتكار المناصب السامية داخل الفلك العائلي، وهي عبارة عن عملية تمرير سلسة للوظائف من الآباء إلى الأبناء، أو بين الأصهار باعتماد أساليب تهدف إلى وضع اليد على المنصب أو حجزه للعائلة كـ "رأس مال رمزي" أطول مدة ممكنة.

د. استراتيجية تغيير المذهب عند الاقتضاء

تُعدّ هذه الاستراتيجية من الاستراتيجيات المعتمدة خلال العصر المملوكي، خاصة من الأسر العلمية المغاربية المهاجرة إلى مدينة دمشق، باعتبارها وسيلة إلى بلوغ أسمى المناصب العلمية والإدارية. ويبدو أن ظاهرة تغيير المذهب عادة ما تكون في الجيل الثاني الذي نشأ ودرس في مدينة دمشق[149]. وهي حال الجيل الذي ولد في مدينة دمشق من عائلة السّلمي المسلاّتي، حيث سجلنا انتقال سري الدين من مذهب أبيه المالكي إلى مذهب الشافعية. وتفيدنا المصادر أنه تتلمذ على المذهب الشافعي لدى أخواله من آل السبكي، ثم تحوّل شافعيًا في عام 777هـ/ 1375م لينوب صهره برهان الدين بن جماعة في قضاء مصر ويخلفه لاحقًا في القضاء الشافعي في دمشق[150].

أما الحالة الثانية، فيمثلها أمين الدين بن عبد العزيز بن عبد الرحيم المسلّاتي الذي نشأ على الشافعية، ثم تحوّل مالكيًا لينوب عمّه وصهره جمال الدين بن عبد الرحيم في القضاء والتدريس على المذهب المالكي في مدينة دمشق[151].

144 ابن حجي، ج 1، ص 230.

145 المقريزي، **السلوك**، ج 4، ص 391؛ المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 72-73.

146 ابن حجي، ج 1، ص 230؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 1، ص 351، 541؛ المقريزي، **السلوك**، ج 5، ص 210.

147 ابن كثير، ج 16، ص 445؛ السخاوي، ج 1، ص 134.

148 ابن حجي، ج 2، ص 977؛ Voguet, p. 48.

149 Louis Pouzet, *Damas au VIIe/ XIIIe siècle: Vie et structures religieuses dans une métropole islamique* (Beyrouth: Dar el - Machreq Sarl Editeurs, 1988), pp. 96-99.

150 المقريزي، **درر العقود**، ج 3، ص 72-73؛ ابن طولون، ص 248-249؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج 1، ص 106، 541؛ ابن حجي، ج 1، ص 230؛ المقريزي، **السلوك**، ج 4، ص 391.

151 ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج 5، ص 265؛ الذهبي، **العبر**، ج 4، ص 204-205.

خاتمة

يمكن القول إن عائلة السَّلَمي المسلّاتي قد شغلت دورًا مهمًّا في الحياة العلمية والدينية في حواضر المشرق المملوكي (القاهرة، دمشق، القدس)، ولا سيّما منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وهو القرن الذي مثّل بداية عصر الموسوعات العلمية والأدبية، ولمعت خلاله في مجال الفكر شخصيات فريدة، وظهرت عائلات علمية مشهورة. وكانت أسرة السَّلَمِي المسلّاتي من بين الأسر التي أسهمت في صنع تلك النهضة الفكرية. ونستطيع الجزم بأن الأصول المغاربية لهذه العائلة قد أصبحت حقيقة ثابتة لا يرقى إليها الشك بعد أن بيّنا أنها تنحدر من قلعة/ حصن سَلَمَة في جبال مسلّاتة الواقعة في النواحي الشرقية لطرابلس الغرب، بخلاف ما كان شائعًا في الدراسات السابقة التي أثارت مسألة هجرة العلماء المغاربة إلى المشرق خلال العصر المملوكي. وهو ما يؤكد مرة أخرى قناعتنا الراسخة بأن الإضافة التاريخية لا تتوقف دومًا على السبق إلى اكتشاف مصادر جديدة، بقدر ما تحققها المقاربات المنهجية المجدّدة التي تعتمد أسلوب مقارعة المصادر المختلفة وتشبيك المناهج المنوعة.

المراجع References

العربية

ابن جبير الأندلسي، محمد بن أحمد. **رحلة ابن جبير**. بيروت: دار صادر، 1964.

ابن الجزري الدمشقي، أبو الخير محمد بن محمد. **غاية النهاية في طبقات القراء**. بيروت: دار الكتب العلمية، 2006.

ابن العراقي، أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين. **الذيل على العبر في خبر من غبر**. تحقيق صالح مهدي عباس. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989.

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق محمود الأرناؤوط. دمشق: دار ابن كثير، 1993.

ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد. **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي. **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. بيروت: دار صادر، 1964.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف الأتابكي. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي؛ دار الكتب المصرية، [د. ت.].

ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر. **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**. حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. **إنباء الغمر بأبناء العمر**. تحقيق حسن حبشي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1969.

_____. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. تحقيق محمد عبد المعيد ضان. ط 2. حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972.

ابن حجي، أبو العباس أحمد السعدي الحسباني الدمشقي. **تاريخ ابن حجي: حوادث ووفيات 796-815هـ**. ضبط النص وعلّق عليه أبو يحيى عبد الله الكندري. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري. **جمهرة أنساب العرب**. تحقيق لجنة من الناشرين. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. تحقيق خليل شحادة. ط 2. بيروت: دار الفكر، 1988.

_____. **المقدمة**. تحقيق خليل شحادة. ط 2. بيروت: دار الفكر، 1988.

ابن رافع السلامي، أبو المعالي محمد. **الوفيات**. تحقيق صالح مهدي عباس. إشراف ومراجعة بشار عوّاد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982.

ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل الظاهري الحنفي. **نيل الأمل في ذيل الدول**. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. بيروت/ صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2002.

ابن طولون، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد. **قضاة دمشق: الثغر البسّام في ذكر من ولّي قضاء الشام.** تحقيق صلاح الدين المنجد. دمشق: المجمع العلمي العربي، 1956.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبد الله. **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور.** تحقيق مراد كامل. القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، 1961.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر أحمد الأسدي الدمشقي. **تاريخ ابن قاضي شهبة.** تحقيق عدنان درويش. دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1994.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. **البداية والنهاية.** تحقيق حسن إسماعيل مَرَوة. ط 2. دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.

بن معمر، أحمد. "المغاربة ومنصب قاضي القضاة المالكي في دمشق المملوكية". **مجلة التراث** (اتحاد الكتاب العرب بدمشق). عدد خاص بمناسبة دمشق عاصمة الثقافة العربية (2008).

أحمد، علي. **الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري.** دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1989.

_____. "القضاء في عصر المماليك". **مجلة دراسات تاريخية.** العددان 87-88 (أيلول/ سبتمبر - كانون الأول/ ديسمبر 2004).

الباشا، حسن. **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار.** القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1989.

الباهي، أحمد. **سوسة والساحل في العهد الوسيط: محاولة في الجغرافيا التاريخية.** تونس: مركز النشر الجامعي، 2004.

بدوي، فريال يوسف. "الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي". رسالة ماجستير في التاريخ. كلية الآداب، الجامعة الأردنية. عمّان، 1980.

برنشفيك، روبار. **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م.** ترجمة حمّادي الساحلي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988.

التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد. **رحلة التجاني.** تقديم حسن حسني عبد الوهاب. تونس: الدار العربية للكتاب، 1981.

الجبل والسهل في حوض المتوسط: أعمال الندوة العلمية الدولية الرابعة لقسم علم الآثار بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان (5-7 ديسمبر 2011). نصوص جمعها وأعدّها للنشر جعفر بن نصر والنوري بوخشيم. القيروان: جامعة القيروان، 2015.

الجويني، نجاة. "هجرة العلماء المغاربة إلى المجال المملوكي ودورها في تطور الحياة الفكرية من خلال كتب الوثائق المملوكية: صبح الأعشى مثالًا". **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية.** مج 3، العدد 1 (حزيران/ يونيو 2019).

الحريري، خالد محمد. "قاضي القضاة ودوره في دولة المماليك البحرية (658-748هـ/ 1260-1382م)". رسالة ماجستير في تاريخ العرب والإسلام. قسم التاريخ. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة دمشق، 2011-2012.

الحزوري، حسام الدين عباس. **دمشق والسبكيين خلال العصر المملوكي: تاريخ وحضارة.** دمشق: دار الحافظ الدولية للاستشارات والنشر والتوزيع، 2013.

_____. "من مظاهر الحياة الاجتماعية في نيابة دمشق خلال عصر المماليك البحرية 659-784هـ/ 1261-1383م". **مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية.** العدد 63 (2014).

حسين، محمد الصادق. **البيت السبكي: بيت علم في دولتي المماليك.** القاهرة: دار الكتاب المصري، 1948.

حماد، ضياء الدين محمد يونس. "الأسر العلمية في القدس ودورها في الحياة العامة خلال العصر المملوكي (648-922هـ/1250-1516م)". رسالة ماجستير في التاريخ. كلية الآداب. الجامعة الإسلامية بغزة. فلسطين، 2019.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. **العبر في خبر من غبر.** تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية، [د. ت.].

_____. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.** تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط 2. بيروت: دار الكتاب العربي، 1993.

زعرور، إبراهيم. "القضاة الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام في عصر المماليك". **دراسات تاريخية.** العددان 53-54 (تموز/ يوليو- كانون الأول/ ديسمبر 1995).

السباني، صالح الصادق. **ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية (ق 6-10هـ/ 12-16م).** طرابلس، ليبيا: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006.

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. **طبقات الشافعية الكبرى.** تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي. ط 2. الجيزة: دار هجر للطباعة، 1992.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام.** تحقيق بشار عوّاد معروف وعصام فارس الحرستاني وأحمد الخطيمي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995.

شباب، عبد الكريم. "علماء المغرب الإسلامي في بلاد الشام خلال القرون 5-8هـ". أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط. قسم التاريخ. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان، الجزائر، 2014-5120.

شبارو، عصام محمد. **قاضي القضاة في الإسلام.** ط 2. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1992.

الشريف، ناصر الدين محمد. **الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية.** عمان: دار البيارق للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

صمايري، هشام. "عائلة القسطلاني من خلال كتب التراجم والطبقات: محاولة في الإحاطة بصنف من النخب العلمية المهاجرة إلى المشرق ومكانتها في المجتمع". **العبر للدراسات التاريخية والأثرية.** مج 1، العدد 2 (أيلول/ سبتمبر 2018).

طه، عبد الواحد ذنون. **الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق.** بيروت: دار المدار الإسلامي، 2005.

العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد. **رحلة العبدري.** تحقيق علي إبراهيم الكردي. ط 2. دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.

العربي، غيث عبد الله. **مسلّاتة في العهد العثماني الثاني 1835-1911: دراسة في الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية.** طرابلس، ليبيا: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2010.

العسيري، حسن حلمي أبو الفضل. "مدارس دمشق ودورها الثقافي من خلال وصف ابن بطوطة". **مجلة المؤرخ العربي.** مج 2، العدد 28 (2020).

العصفور، سعود محمد. "ألقاب الصوفية في العصر المملوكي (الجزء الأول)". **مجلة "المواقف" للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ.** العدد 1 (كانون الأول/ ديسمبر - كانون الثاني/ يناير 2007).

علاوي، عمار مرضي. "أثر المغاربة في بلاد الشام: القضاء أنموذجًا". **مجلة ديالي.** العدد 56 (2012).

_____. "الحياة المعيشية والاقتصادية للعلماء في العصر المملوكي 648-923هـ". **مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية.** العدد 28، ج 2 (2018).

العليمي، مجير الدين الحنبلي. **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل.** تحقيق عدنان يونس أبو تبانة. عمان: مكتبة دندنيس، 1999.

العمري، حمد بن يحيى بن فضل الله. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.** تحقيق إبراهيم صالح. أبوظبي: المجمع الثقافي، 2002.

عنقود، رجاء. "البروسبوغرافيا: منهج لدراسة النخب والفئات الاجتماعية، محاولة تعريف". **أسطور.** العدد 11 (كانون الثاني/ يناير 2020).

عيفة، الحاج. "إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري (12–15م)". أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009–2010.

غرايبة، محمد الرحيل. "تعدّد منصب قاضي القضاة في العصر المملوكي وآثاره (663هـ/ 1265م–922هـ/ 1517م)". **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية** (جامعة قطر). العدد 13 (1995).

القلقشندي، أبو العباس أحمد. **صبح الأعشى في صناعة الإنشا.** القاهرة: المطبعة الأميرية، 1915.

الفاسي الحسني المكي، أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي. **ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد.** تحقيق محمد صالح بن عبد العزيز المراد. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1997.

ليفي، جيوفاني. "استعمالات البيوغرافيا". ترجمة محمد الطاهر المنصوري. **أسطور.** العدد 3 (كانون الثاني/ يناير 2016).

المحمداوي، علي صالح رسن. "علاقة القضاة المماليك البحرية بالسلطة الحاكمة في مصر (648-784هـ/ 1261-1382م)". **مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)** (العراق). مج 31، العدد 1 (2006).

المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي. **السلوك لمعرفة دول الملوك.** تحقيق محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.

_____. **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة.** حققه وعلّق عليه محمود الجليليّ. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002.

نجم، محمد يوسف وإحسان عباس. **ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات.** بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968.

النُّعيمي الدمشقي، عبد القادر بن محمد. **الدارس في تاريخ المدارس.** تحقيق جعفر الحسني. دمشق: مطبعة الترقي، 1951.

الأجنبية

Abdouli, Hafed. "Le peuplement et l'organisation territoriale à Ğabal Msallâta (Libye) au bas Moyen Âge: L'exemple du Hisn Salama." *Archeologia Medievale*. vol. 48 (2021).

Berkey, Jonathan. *The Transmission of Knowledge in Medieval Cairo: A Social History of Islamic Education*. Princeton: Princeton University Press, 1992.

_____. *The formation of Islam: Religion and Society in the Near-East, 600-1800*. Cambridge: Cambridge University Press, 2003.

Bouzid, Aleya. "Recherches sur les Hawwara." *Mawarid* (Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Sousse). no. 9 (2006).

Bresc, Henri. "La Sicile et l'espace libyen au Moyen Âge." *Africa: Rivista trimestrale di Studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente*. vol. 63, no. 2 (2008).

Chamberlain, Michael. *Knowledge and Social Practice in Medieval Damascus, 1190-1350*. Cambridge: Cambridge University Press, 1994.

Cobb, Paul M. (ed.). *The Lineaments of Islam: Studies in Honor of Fred McGraw Donner*. Leiden: Brill, 2012.

Daghfous, Radhi. "De l'origine des Banu Hilal et des Banu Sulaym." *Cahiers de Tunisie*. vol. 26, no. 91-92 (1975).

Eddé, Anne - Marie. "Stratégies familiales et transmission du savoir: Les Yūnīnī dans le Bilād al - Šam de la fin du XIIe au milieu du XIVe siècle." *Annales islamologiques*. vol. 47 (2013).

Elboudrari, Hassan (dir.). *Modes de transmission de la culture religieuse en islam*. Caire: Institut français d'archéologie orientale - IFAO, 1993.

Encyclopédie de l'Islam. 2ème éd. Leiden: Brill, 1998.

Levi, Giovanni. "Les usages de la biographie." *Annales: Economies, Sociétés, Civilisations*. vol. 44, no. 6 (1989).

Loiseau, Julien. "Choisir sa famille: Waqf et transmission patrimoniale en Egypte au XVe siècle." *Annales Islamologiques*. vol. 47 (2013).

_____. "Histoire de la famille, histoires de famille." *Annales islamologiques*. vol. 47 (2013).

Pouzet, Louis. "Maghrébins à Damas au VII/ XIII siècle." *Bulletin des Etudes Orientales*. vol. 28 (1975).

_____. *Damas au VIIe/ XIIIe siècle: Vie et structures religieuses dans une métropole islamique*. Beyrouth: Dar el - Machreq Sarl Editeurs, 1988.

Rosenthal, Franz. *Knowledge Triumphant: The Concept of Knowledge in Medieval Islam*. Leiden/ Boston: Brill, 2007.

Voguet, Elise. "Les modalités de nomination des professeurs dans les Madrasa - s de Damas (XIIe - XVe siècle): La fonction de Mudarris, une charge d'enseignement ou une dignité rémunératrice?" *Bulletin d'Etudes Orientales*. vol. LV (2003).